روايات عبير الجديدة

هازل فيشر

الرّجل الغريب

www.elromancia.com

مرموريلة

١

الرجل الغريب

هازل فيشر

لكي تساعد اختها، قبلت بيب بوظيفة صعبة، ممرضة سكرتيرة، ومساعدة للدكتور هالام فيلدينغ وليس العمل وحده كان صعباً ومثيراً، ولكن الرجل ايضاً، كان لا يحتمل، متكبر، يلومها دائماً ومهما فعلت... وفجأة، وبشكل غريب، طلب منها الزواج ذات يوم. لكنه زواج مظاهر ليس مبنياً على اية مشاعر حب. ووجدت بيب نفسها غير قادرة على الرفض.

www.elromancia.com

- ١ -

لأول مرة تشعر فيليبا ويستون بهذا التوتر والعصبية وكانت تلعب بخاتم يدها وهي لا تدري ماذا تفعل بهاتين اليدين. وكان هالام فيلدينغ يجلس خلف مكتبه ويقرأ للمرة الثانية طلب التوظيف الذي ملأته بيب (فيليبا) وشرحت فيه موجزاً عن مؤهلاتها العلمية، واخذت بيب تتأمله، وكان طويلاً شعره اسود عريض الجبين.

ثم نظر اليها واحست بيب ان وجهها اصبح شاحباً، وكانت تنتظر قراره.

«بالنسبة لفتاة في سنك، آنسة ويستون، يبدو انك تجيدين عملك».

«كنت اعمل عند السيدة نواكز لمدة عام تقريباً».

«بالنسبة لسنك، عام واحد يبدو طويلا، ولكن بالنسبة

لي يبدو قصيراً».

ارادت بيب ان تعترض، لكنها تذكرت شروط العقد، فاذا لم تقبل بهذا العمل، فميلاني وسيمون، بالمقابل، لا يعرفان اين سيعيشان، ومع هذا العمل تحصل على مسكن.

وهذه الفكرة دفعتها للسكوت، وعادت الاسئلة تتزاحم في رأسها، لماذا اوقفت علوم التمريض؟ لماذا لم تتابع دروسها في الجامعة؟ ولكنها لم تترك مدرسة التمريض الا من اجل الاهتمام بوالدتها المريضة. وكانت منذ صغرها تحب مهنة التمريض، وبما انها لا تملك مسكناً، فمن الطبيعي ان تبحث عن مكان للعيش فيه.

«انا لا احب ابداً المسكن الجماعي» قالت بيب، لكن الدكتور لم يجب، وكأنه غارق في افكاره، فأخذت بيب تتأمل الكتب المكدسة على الرفوف، وكانت تحب القراءة كثيراً، وكانت ساعة الحائط تشير الى الخامسة، وكان الطبيب تأخر على موعده معها لحالة طارئة، والخادمة التي استقبلتها نصحتها بالقيام بجولة قصيرة، لكن بيب خافت اذا خرجت ان تفقد شجاعتها ولاتعود. لأن فكرة العمل مع جراح مشهور تشعرها بالخوف.

والدكتور فيلدينغ يبحث عن شخص يساعده في عيادته الخاصة، والتي سيختارها ستكون ممرضته، السيدة نورا عمته وسكرتيرته، تنهدت بيب، وهي تشعر بالخوف، ولكن ماذا ستفعل؟ فالسكن المؤمن والاجر المناسب يغريها.

«هل تفكرين بالعودة الى الدراسة؟» سألها وهو ينظر

اليها مليا.

«اتمنى ذلك» وكانت بالفعل تفكر بذلك بعد ان تنتهي مشاكل ميلاني.

«كم من الوقت تعتقدين انك ستبقين هنا؟».

«لست ادري، سيد فيلدينغ، سنتين او ثلاثة فالامور صعبة في هذه الايام».

«هل هي مشاكل مع الحبيب؟» سألها بشكل مفاجيء.

«ليس بالتحديد...».

عقد الطبيب حاجبيه، وكأنه غضب لأنه لم يعرف سبب متاعبها.

«كنت متأكداً ان هذا هو السبب، واراهن انه متزوج» وعاد ينظر في طلب توظيفها، وكادت بيب تصرخ، نعم انه رجل متزوج ولكنه زوج اختها والمشاكل التي تواجهها هي مشاكل ميلاني، وليست مشاكلها هي!.

وفهمت بيب ان د. فيلدينغ رجل قاس دون قلب وبدون رحمة، ولولا خوفها على اختها لكانت قالت له رأيها به بصراحة، ولكن المسكن يجبرها الى السكوت.

«لقد تلقيت تسعة وعشرين رداً لأعلاني عن حاجتي لممرضة، آنسة ويستون» قال لها فجأة.

«اوه!».

وشعرت باليأس والحزن، فلا بد ان بين هؤلاء المرشحين لهذا العمل من هم اكثر منها خبرة، وكفاءة، ولن يكون لديها اي أمل، واخذت تتأمل يديها المرتجفتين.

«وبينهن اربعة وعشرين لديهن طفل، واربعة آخرون مسنات».

«اذن يجب ان يكون العمل من نصيب احداهن، اقصد...».

«انا لا ادير مؤسسة خيرية، آنسة ويستون، فكل ما اريده سكرتيرة فاعلة».

لم تجرؤ بيب على القول له انها ستنجح في عملها، واعتقدت ان الدكتور اخذ قراره، وأنه يعتبرها غير مؤهلة لهذه المسؤولية فلماذا لا ينهي هذه المقابلة بسرعة؟ فقط لو ان اختها ليست بحاجة لها! يجب ان تحصل على هذا المسكن من اجل اختها ميلاني التي تبلغ التاسعة عشرة من عمرها، وهي هزيلة، شاحبة وشقراء، ويائسة! لقد تزوجت بسن مبكر، ولديها طفلها سيمون ولقد انفصلت عن زوجها بيتر، ولقد توسلت لبيب كي تجد مكاناً تستطيع فيه ان تستقبل اختها وابنها، ولم تستطع بيب ان تقاوم دموع ميلاني وتركت عملها عند السيدة العجوزة نواكز، واجابت على الاعلان الذي ناولته لها ميلاني، وكان العرض مغرياً الشقة مؤمنة ويقبل وجود ولد...

«اعطني سبباً يدفعني الى توظيفك» قال لها الطبيب فجأة.

انتفضت بيب، والتقت نظراتها بنظراته الزرقاء، وفجأة تبدد خوفها، وقررت ان لا تسمح له باساءة معاملتها.

«افضل ان تمنحني فرصة لشهر واحد».

فابتسم الطبيب، ولكن عيونه ظلت باردة، ثم نهض من

وراء مكتبه وجلس على الكنبة وعند ساقيه، دون ان يبعد نظره عنها، فتشجعت بيب واقتنعت انها نجحت.

«حسناً، لقد قبلت طلبك، آنسة ويستون، وسأمنحك شهراً في البداية، واذا لم يعجبني عملك، سترحلين!».

«سأنجح بالتأكيد».

«اشك بذلك» اجابها بسخرية «اشك بأنك لن تكملي الشهر، سنرى» ثم نهض وتأملها.

«تعالي معي، لأريك شقتك، فمن اجل الحصول عليها اجبت على الاعلان، اليس كذلك؟» ودون ان ينتظرها خرج من المكتب بخطى سريعة، وكان على بيب ان تركض كي تلحق به، فشعرت انه يحاول ان يظهر تفوقه عليها، ولو لم تكن اختها وابنها بحاجة لها، لكانت تخلت عن العمل معه، ولكنها مضطرة لقبول هذا العمل، وتفاجأت بيب عندما دخل الى الكاراج، وتساءلت هل هذا هو المسكن الذي وعد به؟ ورأت فيه سيارتين واحدة رولس ايز والثانية ستبور.

«ان سائق المالكين القدامى يسكن هنا» قال لها ثم التفت نحو درج وصعد عليه بسرعة، فتبعته وهي تعد الدرجات بتعب، وما ان فتح باب الشقة، حتى صرخت بيب من الفرح.

«يا الهي، كم هذا جميل» ثم نسيت موقفها من رئيسها الجديد واسرعت تتنقل بين الغرف الصغيرة والمريحة بنفس الوقت، وفرحت لأن سيمون سيتمكن من اللعب بحرية ولكنها عندما تذكرت سيمون، انقبض قلبها، فهي حتى

www.elromancia.com

الآن لم تخبر الطبيب بأمر الطفل وستخبره في الحال؟ وكانت ميلاني اقترحت عليها ان تقول ان سيمون هو ابنها هي، ولكن بيب لم تكن تحب الكذب.

«هل اعجبتك الحديقة؟».

«انا احب الزهور كثيراً».

«برافوا! الآن اريد ان اريك المكاتب، لا تنسي انك هنا للعمل ايضاً» ثم نزل الدرج وكان قد وصل الى المنزل بينما بيب لا تزال تغلق باب الكاراج، وعندما انضمت اليه كانت تلهث من السرعة.

«يجب على الممرضات ان تكن سريعات، آنسة ويستون، هل نسيت ذلك؟».

«عند السيدة نواكز لم يكونوا يضطروني على الركض الا في حالات الطوارىء».

- ٢ -

فنظر اليها بحدة، وكأنه لا يصدق اذنيه، ثم فتح باباً داخل المنزل.

«هنا سيكون عملك».

فوضعت بيب يدها على آلة الطباعة الحديثة...

«لقد لاحظت في رسالتك، انك تجيدين الطباعة» قال لها وابتسم بلطف. ولاحظت الفتاة الكتب الطبية، وتساءلت متى ستعود الى دراستها؟.

«بأمكانك قراءة كل هذه الكتب في اوقات فراغك».

فالتفتت اليه ولاحظت ابتسامته التي تزين وجهه، ماذا به؟ اهو مجنون؟ ما الذي دفعه لتوظيف هذه الفتاة فابتسم من جديد طائشة ام لا، لقد اعجبته، وهي تملك الشروط المطلوبة، وهو لا يريد الاعتراف، ورغم كل شيء هذه

www.elromancia.com

الفتاة الشقراء تشبه لهيب الجحيم، وساحرة...

«ان عمتي نورا مسافرة حالياً، وستعود بعد يومين» قال لها بلهجة غير مجشعة، فارتعشت بيب وتمنت ان لا تكون عمته مثله.

«عمتك...».

«انها سيدة مسنة، شرسه» فاعتقدت بيب انه يبالغ.

«قد لا تكون غضوبه كما تقول انت، فكيف يمكن لها ان تكون مشاكسه في مثل هذا المنزل الجميل؟».

«ان عمتي نورا اسوأ من ذلك، فحتى لو رضيت انا عن عملكن، فأنت لن تعجبيها، يا ابنتي انت لن تسكني هنا اكثر من شهر، واراهن على ذلك، فعمتي تنين، وانت لن تقاومي امامها» ثم خرج وتركها تفكر بيأس، ولم تلاحظ بيب نظراته التي تضحك بمكر، وجلست على الكرسي، يا لها من عائلة!.

واخيراً جمعت شجاعتها، ودخلت الى غرفة الفحص، وكانت نظيفة ومرتبة وحديثة التجهيز، ورأته يجلس على حافة مكتبه، ويتأمل مفكرته، فاقتربت منه وانتظرت...

«متى يمكنك ان تبدأي بالعمل؟».

«لقد تحسنت صحة السيدة نواكز التي كنت اعمل عندها، وانا حرة تقريباً» وارتجف صوتها، لقد كانت تحب السيدة نواكز، ولولا حاجة اختها للسكن معها لما قررت الرحيل عنها.

«ايناسبك يوم الاحد القادم؟».

«الاحد؟».

«الا تسمعين جيداً؟ هذا يسمح لك بالانتقال، وبالتعرف على عمتي الحبيبة، كي تكوني مستعدة للعمل يوم الاثنين».

يجب ان تكلمه عن ميلاني وسيمون، لكن كيف؟.

«اقتربي اكثر، انا لا اريد ان آكلك بالنسبة للدوام وللراتب...».

لقد فوتت فرصة اخرى! وكان الراتب مغرياً واكثر بكثير مما تقبضه ممرضة عادية، بدون شك هذا بسبب العمل الاضافي الذي تسببه العمة نورا، وتمنت ان لا يكون وصفه لها صحيحاً.

وبعد ان وقعت العقد، رافقها الدكتور الى الباب، وكان المطر ينزل بغزارة، والطقس بارد ومظلم، وكانت قد فقدت مظلتها، واستعارت معطف ميلاني الواقي من المطر، يا له من يوم! فتناولت من حقيبة يدها قبعة يستعملها مزينو الشعر، فهذه افضل من لا شيء.

«المطر غزير جداً آنسة ويستون، اتعتقدين حقاً ان هذه القطعة من البلاستيك ستحميك من المطر؟».

«هذا كل ما هو متوفر لي الآن، ولكن لا تقلق» اجابته ضاحكة «فأنا لن اموت من الرشح من الآن وحتى يوم الاحد» وركضت الى الخارج دون ان تلاحظ نظرات القلق في عيونه، وما ان خرجت من ممر المنزل حتى سمعت زمور سيارة خلفها. فالتفتت ورأت الطبيب يركب سيارته السبور، فأشارت له بيدها ثم تابعت طريقها تحت المطر ونحو موقف الاوتوبيس. احنت رأسها جيداً وهي تركض

www.elromancia.com

ونزلت نقط من المطر في ظهرها ، فأخذت تلعن وتكيل الشتائم ل بيتر، من المؤكد انه يشرب الآن دون ان يفكر بشراء ملابس لزوجته ميلاني . . . ..

واخيراً توقفت امامها سيارة السبور الخضراء.

«لو انتظرت قليلاً، آنسة ويستون، لما كنت تبللت لهذه الدرجة، اصعدي! والا ستموتي» وفتح لها الباب، فركبت بيب بجانبه.

«يبدووكأنك تفقدين حس المشاركة».

ما ذنبها اذا كانت لا تملك مظلة، كما وان ليس كل الناس يملكون سيارة رولس مثله! اكيف سيمكنها ان تتحمل رجلاً مثله؟ وبعد قليل ابتسم الدكتور لها، واحست بأن حملاً ثقيلاً انزاح عن كاهلها، ولشدة دهشتها، ابتسمت له ايضاً، يبدو ان هذا المستبد يملك قلباً، ويا له من فرق عندما يبتسم!.

«اتمنى ان تسعدي بيننا» قال لها مبتسماً.

«انا متأكدة من ذلك، ولكن. . . يا الهي. . .».

«ماذا؟ اهناك مشكلة؟».

«لا! . . . نعم . . . بالنسبة للاعلان . . اقصد، ان الاعلان يقول بأنه يسمح للاطفال. . .».

«نعم . . . لماذا؟».

«بسبب الصغير سيمون، ويبلغ السنتين من عمره، ولا اعرف اين سأتركه» وقررت ان تكلمه عن ميلاني «لست ادري من اين ابدأ . . . فكما ترى، والده. . .».

«هذه القصة لا تهمني ابداً» قاطعها فجأة «آنسة

ويستون، والده مشكلتك انت، وليست مشكلتي انا، واذا لم يكن لديك مكان آخر تتركيه فيه، بأمكانك احضاره معك» وبدا عليه الغضب، ثم انحنى وفتح لها الباب، وشعرت بيب بالخوف، وبشيء آخر لم تتمكن من تحديده، لا بد انها مجنونة، فهذا الرجل يقارب سن والدها، وهي تكرهه ايضاً، ثم نزلت من السيارة، وما ان وطأت قدماها الرصيف حتى انطلق بسيارته بسرعة جنونية، يا الهي، ماذا فعلت لأغضابه؟ آه، ايعتقد ان سيمون هو ابنها هي؟؟ انه ابن غير شرعي؟ كيف يجروء؟ ولكنها لم تشرح له . . . ورغم البرد الشديد احست بالنيران تشتعل في خديها، يا له من رجل فظيع! ولكن ستشرح له يوم الاحد كل شيء.

«يا الهي، بيب انه جميل» قالت لها ميلاني بدهشة وهي تتفقد الشقة وسيمون بين ذراعيها.

«انه منزل مريح».

«كان بأمكانه ان يؤجره ويكسب المال الوفير».

«اعتقد انني اعرف السبب» اجابتها بيب «انه طعم لمنع السكرتيرات من الهرب عند رؤية عمته نورا» وضحكتا معاً، لأن بيب كانت قد تعرفت على هذه العمة، واخذ سيمون يركض خلفهما ، فخافت بيب ان يكسر شيئاً.

«ميلاني، يجب ان ننتبه جيداً، فهذا المنزل قد لايبق منزلنا لأكثر من شهر واحد».

«بالتأكيد لا! والا سأحاول اغراء طبيبك الفظ هذا» وضحكتا من جديد، وكانت ميلاني واثقة من نفسها ومن جمالها، ولكنها كانت انحف من بيب، وتساءلت بيب اذا

www.elromancia.com

كان الدكتور يحب التحيفات ام لا، واذا قبل الام وابنها وتركهما لأكثر من شهر، فهذا كل ما تتمناه، فقد يحب سيمون، وهذا سيكون رائعاً.

«اوه، نسيت ان اخبرك، ميلاني، ان الدكتور يعتقد انه ابني انا، ولم يترك لي الفرصة لأشرح له حقيقة الموقف».

«عظيم، هذا رائع!».

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

- ٣ -

«ماذا؟».

«لا تكوني غبية» اعترضت ميلاني «فهذا افضل! واذا فهم اننا مستأجرون غير شرعيين فأنه سيرمينا في الشارع بدون رحمة، و لكن اذا فهم انك والدة سيمون، وانني اقيم معك لكي اهتم به فسيحتفظ بنا، وبما انك سكرتيرة عظيمة فأننا سنقيم هنا طويلاً، فهو لن يجد افضل منك، يعتقد ما يريده، واذا كان الكذب لا يعجبك، ولا تقولي له شيئاً ودعيه يعتقد ما يريده وهذا ما يسميه البعض الكذبة البيضاء».

«ولكنني اريده ان يعلم الحقيقة، ويجب ان يثق بي، ولا اريده ان يكون عني فكرة سيئة».

«لا تبالغي، وعلى كل حال ما يهمك في رأيه؟ انه

عجوز تقريباً ويبلغ على الاقل الاربعين من عمره وهل تنوين الوقوع في حبه؟».

لم تدر بيب بماذا تجيب، لأنها لاحظت نظراته التي رماها بها، كما وان السيدة نورا غريبة حقاً، وهي لا تريد ان تحتقرها كل العائلة! فاغمضت عينيها وحاولت ان تنسى مقابلة الأمس! ولكنها لن تنسى نظراته الغاضبة ووجهه الشاحب، وتساءلت ايمكنها تقبيل رجل مثله، يا لها من فكرة سخيفة! اما عمته السيدة نورا فكانت في السبعين من عمرها، وارادت منذ البداية ان تضع النقط على الحروف، ولم يعجبها اختيار ابن اخيها، ورأت ان بيب صغيرة على ان تكون رفيقة لها، وبدأت تمدح رفيقتها الاخيرة، السيدة بيتر، التي كانت تمتلك كل الصفات المناسبة، مطيعة، ذات خبرة، واخبرتها انها رغم تقاعدها، الا انها لن تتردد في تلبية اول نداء لها، عندئذ ضحكت بيب في نفسها، فهل تلك السيدة مجنونة لكي تعود من جديد؟ وفهمت الآن لماذا وظفها الدكتور فيلدينغ في غياب عمته.

«الشاي اصبح جاهزاً!» قالت لها ميلاني.

«ماذا سيفعل بيتر عندما لن يجدك هذا المساء؟».

«مثلنا» اجابتها ميلاني وهي تهز كتفيها «سيشرب الشاي، ماذا تريدينه ان يفعل؟ فهو لا يعلم مكاننا طالما اننا في هذا الحجر».

وكان هذا المنزل يبعد تقريباً اربعين كيلومتراً عن منزل بيتر، وفي منطقة هادئة، يجب ان تعمل بيب جيداً لأن شبح الطرد يلاحقها، وهي ترى ان اليوم الذي ستصبح فيه

اختها راشدة وقادرة على تحمل مسؤولية نفسها وابنها بعيد جداً.

«اين رسالة السيدة مانوارنغ؟» سألها الدكتور فيلدينغ وانحنى نحوها مادا يده، بعد يومين كانا بالنسبة للفتاة من اطول ايام حياتها.

«اين يمكن ان يكون؟» سألته بهدوء.

«على مكتبي في سلة البريد» اجابها بلطف، واعتقدت الفتاة ان هذه اللطافة هي اشبه بالهدوء الذي يسبق العاصفة.

«اذن، يجب ان ابحث عنها هناك» اجابته بابتسام.

«بالفعل، آنسة ويستون، لكنها ليست موجودة».

«اوه!» وحاولت النهوض، وكانت متعبة وتشعر بالنعاس، لأن العمة نورا ارادت ان تشاهد نادي السينما، وكان على بيب ان تحضر لها وجبة طعام خفيفة في تمام الساعة الواحدة صباحاً!.

«اذا كنت تجدين هذا العمل متعباً، فالافضل لك ان تنامي باكراً، لقد كان النور مضاءً في شقتك بعد منتصف الليل».

ارادت الفتاة ان تتكلم، ولكن ماذا سينفعها الكلام؟ يكفيها ما لديها من مشاكل، ولاحظت انه يتأملها وانه لا يبدو غاضباً وبحثت بيب في الملف الذي امامها بعصبية.

«ها هي!» صرخت بفرحة الانتصار «كنت اعلم انني وضعتها هنا» فتناول الورقة من يدها، وبينما هو يتفحصها، فتحت بيب احد الجوارير وتناولت ربطة عقدت بها شعرها.

www.liromancia.com

«لماذا تفعلين ذلك؟» سألها الطبيب.

«لانني نسيت ان ارفع شعري، واعتقد ان هذا يزعجك، فأنت لا تكف عن النظر الى شعري».

«لأن شعرك يذكرني بشعر اخي» اجابها مبتسماً «انه احمر الشعر مثلك تماماً».

«حقاً؟ لم اكن اعتقد ان لك اخاً، اعتقدت...».

«انني وحيد من نوعي؟ انني مخلوق وحيد في ليسيقر».

«اوه، لا! على كل حال لديك عمه...».

«واية عمة! انا متأكد انها تزيك كل الألوان، لا تنسي انني حذرتك، على كل حال سيصل اخي قريباً، وهو ايضاً طبيب عام في بوركشير، وسترين بنفسك ان شعره اكثر حمرة من شعرك».

«أكانوا في المدرسة يلقبونه بجلد الجزر؟».

«لا كانوا يسمونه البندورة او اي شيء من هذا القبيل، لا تقولي لي انهم كانوا يسخرون منك، فأن شعرك رائع».

«كل يوم، كانوا يخترعون لقباً جديداً» واحمر وجهها «فأنت تعرف كم ان الصبيان شنيعون، وكانوا يدفعونني الى البكاء، حتى كرهت شعري».

«وكيف تكرهين شيئاً جميلاً؟ الا تعلمين عدد النساء اللواتي يصبغن شعرهن لكي يصبحوا مثلكن؟ لكن مهما فعلن ستكون محاولاتهن فاشلة» وكان صوته لطيفاً، فنسيت الفتاة موضوع الرسالة، واشرقت الفرحة على وجهها، ولكن هذه الفرحة لم تطول، لأنه عاد الى وقاره بسرعة.

«في المرة القادمة، عندما ترتبي رسائلي، تأكدي انني

اجبت عليها».

«اعذرني» قالت له واحست بأن الدموع ستنهمر من عيونها «هذا لن يتكرر مرة ثانية».

ولاحظ الطبيب حزنها.

«اليس العمل مرهقاً؟» سألها بقلق.

واعتقدت الفتاة ان الطرد اصبح قريباً، فارغمت نفسها على الابتسام.

«لا، ابداً، انه مريح. واذا تابعت دروسي، سأكون قد اكتسبت خبرة رائعة، فهنا اتعلم اشياء كثيرة».

ابتسم الطبيب مرة ثانية، واعجب بحماسها، وتذكر ايام شبابه، واطرق ساهماً، فتساءلت بيب ماذا فعلت من جديد لأغضابه؟ يا الٰهي، مهما فعلت ترتكب خطأ، فاذا ضحكت او ابتسمت او تثاءبت ستتهم بأنها اخطأت، يا لهذا الرجل القاسي!.

«كلميني عن حالة السيدة مانوارنغ ماذا تعرفين عنها؟».

ترددت بيب قليلاً، وحاولت ان تتذكر محتويات هذا الملف.

«اعتقد انها مصابة بالسرطان، عفواً، تورم الصدر، وانت ستجري لها عملية غداً».

«وكيف وصلت الى هذا التشخيص؟».

«من رسالة طبيبها العام ومن هذا الورم في الثدي وقرارك باجراء العملية».

«ان اكثر اورام الصدر تكون بسيطة! واذا اجريت عملية، فهذا لا يعني وجود السرطان، ولا شيء يسمح لك

www.elromancia.com

بالظن، ويجب ان لا تستنتجي شيئاً قبل التأكد التام».

كادت بيب تضحك، تضحك بمرارة، ولكن ماذا فعل هو؟ الم يحكم على سيمون انه ابنها دون التأكد؟ ثم خرج واغلق الباب وراءه بعنف.

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

- ٤ -

وفي هذا المساء، نامت العمة باكراً، وتناولت بيب كتاباً كانت ترغب في قراءته، وكان من بين الكتب التي سمح لها الطبيب باستعارتها.

وبعد العشاء، كانت تخرج من الحمام، بينما كانت ميلاني تروي قصة لأبنها، وبهذا الوقت فتح الباب فجأة.

«لقد طرقت على الباب ولم يجبني احد...».

وكان يبدو على الطبيب انه مستعجل، لكنه عندما رأى ميلاني اختفى صوته، وكانت فاتنة وشقراء، واخذت تتأمل الطبيب بفضول، اما هالام فيلدينغ فقد تحول الى تمثال حجري لا تفارق عيونه ميلاني.

وبينما نهضت ميلاني واقتربت منه، نظر الدكتور الى بيب، نظرة استفهام.

«اختي ميلاني» قالت له بيب بصوت منخفض، وكانت تأمل في ان يقبل بوجود اختها بسهولة، لكنها لم تكن تتوقع مثل نظرات الاعجاب هذه، فانقبض قلبها، وهي تنظر اليهما، كلاهما جميلان كالاوز، بينما هي كالكنار الصغير الذي لا يلاحظه احد.

ومدت ميلاني يدها للطبيب، فامسكها للحظات وعندما تركها كان كأنه يخرج من حلم، وابتسم ابتسامة حقيقية! لم يبتسم مثلها لبيب.

«انت لم تكلميني عن اختك، آنسة ويستون».

وكان صوته ناعماً، لكنها احست انه غاضب منها، وانه لم يبتسم الا من اجل اختها، فتدخلت ميلاني وابتسمت له بدلال.

«دكتور فيلدينغ، انا السبب، والآن سأشرح لك كل شيء» وحملت بيب الطفل سيمون ودخلت الى غرفة النوم، وعندما نام الصغير، هدأت اعصاب بيب قليلاً، وقررت ان تخبره بالحقيقة، فهو ليس قاسياً كما يظهر، وقد يكون هدأ الآن بعد ان شرحت له اختها الحقيقة بهدوء، سيفهم الوضع ويسمح لهم بالعيش بسلام، على كل حال، هو ليس بحاجة لهذه الشقة، وعادت الى الصالون، فسمعته يقول: «لقد جئت لأسترد كتابي».

وكانت ميلاني تبتسم مما يدل على انها سوت المسألة معه.

فأسرعت بيب وتناولت كرسياً، ومدت يدها الى اعلى الخزانة حيث خبأت الكتاب من ايدي الطفل الصغير،

ولكنها تعثرت ولولا تدخل الطبيب لكانت وقعت وكسرت رجلها، ووجدت نفسها بين ذراعيه، لكنه تركها بسرعة وكأنها تحرقه، ثم تناول الكتاب من يدها، وخرج واغلق الباب وراءه بعنف.

«لا تقلقي» قالت لها ميلاني «لقد اكد لي انه بأمكاني البقاء قدر ما اشاء، وهذا يسمح لي بالاهتمام بك، فهو واثق انك غير قادرة على الاهتمام بابنك».

«ابني؟».

«نعم، سيمون، فهو يعتبرك والدة سيمون، وهو يظن انك بحاجة لبعض الوقت لكي تتابعي حياتك بشكل طبيعي، واكد لي انه راض عن عملك، ولكنه يفضل ان يهتم احد بحالتك النفسية».

«ولكن، الم تقولي له شيئاً؟ أأنت ستهتمين بي؟ انت، ايتها المسكينة؟ ولكنك غير قادرة على اجتياز الشارع وحدك بدون مساعدة، لماذا لم تشرحي له شيئاً؟».

«لم استطع، لأنه لم يترك لي مجالاً، كان يتكلم كل الوقت عنك، وعن ما يجب عمله لك لكي تستعيدي الأمل في الحياة، على كل حال نحن قررنا اكمال هذه القصة».

«انت قررت! لا انا، وكيف سمحت لنفسك ان توهميه بأنني انا اعاني من مشكلة نفسية، بينما انت التي هجرت زوجك؟ وانا بسببك انت اضطررت لقبول هذا العمل، واعامل كأنني عبدة، وانت لا تتملكي الشجاعة للتصرف ولو لمرة واحدة كالبالغين».

حاولت ميلاني الدفاع عن نفسها، لكن بيب اقفلت

www.elromancia.com

ازرار روبها وخرجت من المنزل لكي لا تضطر لصفع اختها الحمقاء، وكان الطقس بارداً، وقادتها الخطى دون ان تدري نحو المنزل الكبير، وكانت نافذة مكتب الطبيب مضاءة فقط فيه، فلمحته يقرأ، وهو منحني قليلاً، ويضع يده على جبينه.

لماذا يكرهها؟ واحست بالحزن، ورغبت في ان تدخل اليه، وتشرح له كل الموقف، وبينما هي تفكر بتردد، انطفأ النور في غرفة المكتب، فعادت الى شقتها يائسة.

«الدكتور لا يستقبل مرضاه الخصوصين سوى بعد الظهر» شرحت لها الممرضة فاريل التي تبلغ سن التقاعد.

«كل يوم بعد الظهر؟» سألت بيب بفضول.

«بالطبع لا، فهو مثلنا بشر من لحم ودم وبحاجة للراحة، ويستقبل المرضى بعد الظهر، ثلاثة ايام فقط في الاسبوع» وكانت السيدة فاريل ستأخذ اجازة لبضعة ايام، وتريد ان تعلم بيب على كل تفاصيل العمل.

«اذا كنت تشعرين انك غير قادرة على هذا العمل، قولي فبأمكاننا ان نحصل على احد آخر».

«اوه، لا! ارجوك! انا متأكدة انني على المستوى المطلوب».

«ولكن لماذا لم تتابعي دروسك بعد وفاة والدتك؟».

ماذا ستجيبها؟ اتقول لها انها كانت تستعد لذلك، لكن مشاكل ميلاني منعتها؟ وهذا العمل الجديد يسمح لها بالتعلم باكتساب الخبرة، ويجب ان تهتم بالمواعيد وبمساعدة المرضى على خلع ملابسهم، واعداد الملفات -

وتسجيل الملاحظات، ويبدو لها ان العمل روتيني وثلاث مرات في الاسبوع بعد الظهر وبدون العمة نورا، تكون اشبه بالاجازات! وفي مساء اليوم التالي تحررت العمة نورا، فتركت بي الدكتور والممرضة، ودخلت المكتب لكي تسجل بعض الملاحظات، وكانت الآنسة تستر غاضبة جداً.

«منذ ساعة وانا انتظرك، ايتها الفتاة، وانا لست بصحة جيدة، وانا من يجب عليه الانتقال، هذا كثير، يفترض بك ان تكوني مرافقتي، لا تنسي ذلك».

وكانت تصرخ وترتجف من الغضب، فأجلستها بيب وحاولت تهدأتها.

«انا آسفة، فالدكتور يستقبل بعد ظهر اليوم، وكان علي ان اعلم».

«سأمر اولاً، يجب ان تبقي بقربي وانا اشاهد المسلسل التلفزيوني، لقد طلبت منك ذلك».

عضت بيب على شفتيها، ماذا سينفعها التوتر؟ فهي لن يمكنها التواجد في مكانين في نفس الوقت.

«الآنسة فاريل ستأخذ اجازة، والطبيب بنفسه طلب منها ان تعلمني بذلك، انا آسفة، آنسة تستر، لكن بأمكانك مشاهدة هذا المسلسل وحدك، فأنهم يحتاجون لي هنا، و...».

«الدكتور فيلدينغ ليس بحاجة لك! وانت لست مؤهلة، والأسواء عندما افكر بذلك الطفل...» ورغم غضبها لم تجرؤ على تسميته الغير شرعي.

www.elromancia.com

«ما به هذا الطفل؟» سألتها بيب وقد شحب لونها.

«انت تعرفين اكثر من غيرك، بالاضافة الى ان ابن اخي بدأ يتعب من كل هذا، ولقد قال لي ذلك بنفسه».

«آه، نعم؟ ماذا قال؟».

«قال لي بأنك...».

«فتاة تعمل بنشاط وانا مسرور من عملك!» التفتت بيب والدموع تملأ عينيها، واقترب د. فيلدينغ منها.

«تعالي، عمة نورا، سأهتم بك» قال لها الدكتور عندما لاحظ صعوبة تنفسها، واسرعت بيب لمساعدته لكنه اشار لها ان تبتعد.

«دع عنك! الآنسة فاريل ستساعدني».

- ٥ -

انصدمت بيب ووقفت جانباً، واقتربت الآنسة فاريل منه وساعدته، ولاحظت بيب انه لم يطلب لها دواءها، لا بد انه مقتنع انها تبالغ، وما ان فتحت عمته فمها لتشتكي من بيب، حتى ارتفع صوت مرح قاطعها عن الكلام.

«ايه، يا عمتي، هل هذه نوبة جديدة؟».

التفت الجميع، فاذا برجل يشبه هالام يقف امام الباب، لم تصدق بيب عينيها، ان شعره بالفعل اكثر احمراراً من شعرها، ودون سبب شعرت بالراحة، واخيراً وجدت لها مثيلاً في هذا المكان، وظهور هذا الشاب هدأ غضب العمة نورا التي ابتسمت ومدت يديها نحوه.

وكان هالام يراقب المشهد وكأنه يشعر بالغيرة، فأحست بيب بالشفقة عليه، لا بد انه يشعر بأنها تفضل اخاه جيف

www.elromancia.com

عليه.

«انه شعر احمر حقاً! واخيراً اثبت اخي الكبير حسن ذوقه».

قال جيف ثم اقترب منها، ومد يده نحوها بابتسامة عريضة، فترددت قليلاً امام نظرات الجميع، ومدت له يدها.

«هيا، يا اختاه، لا ضرورة للخجل! ولا يجب علينا ان نخفي شعرنا» فتدخل هالام بهذه اللحظة لمساعدتها، ثم خرجوا وتركوها وحدها، الم تكن تكفيها تستر؟ ها هي الآن مضطرة لتحمل مزاح فيلدينغ آخر، فجلست على كرسيها واجهشت بالبكاء، ولم تستطع تمالك دموعها انها تكره نفسها، كم هي غبية! وليس لديها من تثق به، وعادت لترتيب الملفات وعيونها حمراء، وفجأة وجدت جيوفري فيلدينغ امامها.

«انا آسف، لم يكن يجب علي ان اهزأ منك».

اخفضت بيب رأسها ولم تجبه.

«من المؤكد انهم كانوا يسخرون منك في المدرسة، ولا تنكري لقد اخبرني هالام، ولقد حصل معي نفس الشيء».

«على ذوي الشعر الاحمر ان يتضامنوا» قالت له مبتسمة.

«نعم، ولذلك يجب ان تغفري لي مزاحي، ولقد اخبرني هالام انك مررت بتجربة قاسية، وانه لا يجب علي ان ازعجكي، انت بحاجة للطف، ولمن يهتم بك».

«هل قال لك ايضاً انني ملاك فخلوع؟».

«اوه، نعم كلمني ايضاً عن ذلك».

«انا اكره اخاك! انه مدعي متباهي، بأي حق يسمح لنفسه بأن يحكم علي؟ فهو لا يعرف شيئاً عن هذه القصة» قالت بغضب، ولو دخل هالام بنفس اللحظة لرمته بالآلة الكاتبة على رأسه.

«ان ما لا يعرفه، تكهنه، انه لم يقل الا انه حزين لأجلك، ويبدو ان اختك تعيش معك وتهتم بطفلك، وكما ترين، لا داعي لأن تبكي، فعلى الاقل يوجد شخصان يهتمان بك، حتى ثلاثة ايضاً».

طيبة هذا الشاب جعلتها تشعر بالراحة، وكان قد وضع يده على كتفها، وتذكرت فجأة عملها! يجب ان تسجل كل الملاحظات وتطبعها الى الآلة الكاتبة.

«اعذرني، لدي عمل يجب ان انهيه» قالت له بلطف «للحقيقة لم ابدأ به حتى الآن».

«سأتركك، ولكن كما كل عمل يستحق اجره، سأدعوك لشرب عصير البرتقال المثلج».

عادت بيب الى الملاحظات التي اعطاها لها هالام، وكانت واضحة ومنظمة، وتحتاج لمدة ساعتين لانهائها، هذا اذا لم يزعجها احد، واذا استطاعت التركيز جيداً! فهذا الرجل وعمته سيجعلانها مجنونة! فسالت دمعة من عينها واستقرت على انفها، وتابعت عملها ولم تنتبه عندما انفتح الباب، ولم تدرك انها ليست وحدها الا عندما ناولتها يد منديلاً.

«شكراً، جيوفري» همست وهي تتناول المنديل «اوه، عفواً، كنت اطبع تقريرك» اضافت عندما علمت انه هالام.

«ولكن لماذا تبكين، آنسة ويستون؟».

ثم قرب كرسياً وجلس عليها، فأحست انه قريب جداً منها، وهذا ما كان يزعجها.

«هل سمعت سؤالي؟ لماذا كنت تبكين؟».

«لا شيء، دكتور انا اشعر ببعض الكآبة» وحاولت الابتسام، ولكنها لم تنجح، ولم تستطع اخفاء ارتباكها، فأخذ هالام منديله، لكنه احتفظ بيدها في يده.

«آنسة ويستون، اذا كنت بحاجة لمن تثقين به، اذا كنت تبحثين عن من يحل مكان والدك، لا ترددي ابداً، فأنا هنا لمساعدتك».

هذا كثير، انها ليست بحاجة لوالد، وهي لا تريد ان تثق بأحد، وخاصة بهذا الرجل، فاكتفت بهز رأسها، وبهذا الوقت دخل جيوفري وهو يحمل كوباً في يده فأرتبك عندما رآهما قريبين من بعضهما، وانسكب كوب العصير على الملفات، فترك هالام يدها بسرعة، بينما ضحك أخوه.

«كان كوباً كبيراً من عصير البرتقال» قال مبتسماً بما لطف الجو، فنهض هالام وابتسم.

«يبدو انني ازعجت اخاك، انه يبتسم لكنني متأكدة من انني ازعجته بمشاكلي.

«ازعجته! ليست هذه هي الكلمة التي سأستعملها فتنته، هي كلمة مناسبة اكثر، ولو كنت اعلم، لكنت طرقت على الباب».

«اوه، لا! انت واهم، لقد وجدني ابكي، وقدم لي منديلاً ولمسة ابوية».

«هاي، هاي! احذري! ان الرجال الذين في الاربعين من عمرهم يحبون مواساة الفتيات الحمراوات المهمومات» تمنت بيب لو يخرج، لكن جيف شعر بذلك لأنه انسحب بسرعة، فعادت الى عملها.

«بيب، يا لهذا الحظ! فأنا لم اخرج منذ مدة طويلة» قالت ميلاني بحماس.

«اتعتقدين انه من الحذر ان تخرجي، واذا رآك احد؟».

«لا داعي للخوف فهذا المنزل بعيد عن منزلي» وفجأة، بدا الحزن على وجه ميلاني، لا بد انها تفكر بزوجها، ومنزلها لم يكن مصراً، لكنه كان كها، اما بيب فلم تكن تملك مسكناً في السابق، وبعد طلاق والديها عاشت في المدرسة الداخلية، ثم في مدرسة التمريض، وعندما عادت للاهتمام بوالدتها المريضة لم تشعر ايضاً انها في منزلها.

وما يدهشها الآن هو هذه الدعوة، لماذا يدعوها هالام لقضاء السهرة وهو لم يرها سوى مرة واحدة؟ مع ان بيب واثقة من احاسيس ميلاني، فيه تحب زوجها بيتر كثيراً، ولكن اين هو من هذا الطبيب المشهور؟ وكانت بيب سعيدة لرؤية اختها فرحة، وقلقة من هذه السهرة، وهكذا خرجت ميلاني مع هالام وظلت بيب مع الطفل تفكر بالعمة نور التي حتى وجود جيوفري لم يهدأ غضبها الدائم، واية فتاة غيرها كانت رحلت منذ اليوم الأول، وكان جيوفري يفعل المستحيل لمساعدتها، اما هالام فكان دائماً منطوياً على

نفسه، وشعرت بشيء من الغيرة، ولكنها ليست غيورة من هذه الدعوة، انما من السهولة التي تتأقلم فيها اختها مع كل الظروف.

- ٦ -

وفي الساعة الحادية عشرة والنصف، سمعت هدير سيارة تقترب فنهضت بسرعة ونظرت من النافذة، فرأت ميلاني تصعد السلم مع د. هالام لا بد انها دعته لشرب فنجان من القهوة. فأسرعت بيب وارتدت رويها كي لا تظهر بيجاماتها القديمة، وعندما فتح الباب كانت بيب في المطبخ تعد القهوة، وعندما دخلت الى الصالون، وجدت ميلاني مشرقة وسعيدة.

اما هالام فكان رائعاً في بدلته السموكن، والابتسامة تعلو على شفتيه.

«لماذا كلفت نفسك هذا العناء؟» قالت لها ميلاني وهي تتناول فنجان القهوة.

وفجأة سمعتا بكاء الطفل سيمون الذي دخل الى

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

الصالون.

«ماما، ماما! تعالي!».

وبدون تفكير اسرعت ميلاني وحملته ودخلت به الى غرفة النوم، وعندئذ اصبحت نظرات الطبيب مليئة بالاتهامات، فتأمل بيب قليلاً بشكل تمنت لو ان الارض تنشق وتبتلعها، على كل حال، هكذا افضل، فهذا الوضع لم يكن ليستمر طويلاً.

«تصبحين على خير» همس وهو يخرج دون ان ينتظر عودة ميلاني، ولم يكن قد شرب فنجان القهوة بعد، فرغبت بيب فجأة بالضحك، ماذا يظن الآن؟ هل علم ان اختها التي خدعته؟ ايمكن ان يكون هناك والدتان لطفل واحد؟ لا بد ان الطبيب المسكين محتار الآن، على كل حال هذا يجعله يفكر كثيراً في المرة القادمة قبل ان يستنتج احكامه.

وفي اليوم التالي، انتظرت ان يفتح الطبيب معها الموضوع، لكن الوقت لم يسمح له بذلك، لأن العيادة كانت تعج بالمرضى، وهذه اول مرة تكون وحدها مع د. هالام، وكانت تحاول ان تثبت له انها بالمستوى المطلوب، ومع مرور الوقت، ازدادت ثقتها بنفسها، واحست بشيء من السعادة، فهي لم يسبق لها ان احست من قبل بأنها مفيدة لهذه الدرجة.

ولكنها ظلت تفكر بردة فعل الدكتور هالام، ولكنه حتى الآن لم يقل اية كلمة، وكان يكتفي باصدار الاوامر فقط بتهذيب وبجفاف بنفس الوقت، لكن عيونه كانت

تنطق عنه.

ثم رافقت آخر مريضة حتى الباب، وبدأت بترتيب العيادة، فغيرت شرشف سرير الفحص، ورفعت الادوات الى مكانها، واخيراً وقعت يدها على سماعة الطبيب.

«هذه ليست لعبة، آنسة ويستون!» قال لها بجفاف وتناول السماعة من يدها فاعتقدت للحظة انه سيضربها، فرفعت يدها لتحمي بها وجهها، وكانت هذه الحركة منها كافية لتهدئته.

«لماذا كذبت علي بالنسبة للطفل؟» مع انه حاول تغيير الموضوع، الا ان لهجة صوته كانت مليئة بالتهديد.

«انا لم اكذب» صرخت الفتاة «انك انت الذي استنتجت ان سيمون هو ابني! وانت الذي رفضت الاستماع لي!».

«انه الهذيان! عندما افكر انني اشفقت عليك، وانني شعرت بأنني مضطر لحمايتك... والآن اتساءل من هو الذي بحاجة للحماية؟» ثم خرج وصفق الباب وراءه.

«اذن انت الآنسة ويستون!».

نظرت بيب الى الآنسة فانيسا كليفتون بدهشة عندما قدمت نفسها على انها خطيبة الدكتور، ثم تبعتها الى غرفة الانتظار.

«سأنتظره هنا، فهو لا يحب ان يدخل احد الى مكتبه، حتى انا».

«ثم تأملت شعر بيب واضافت: «اعتقدت ان هالام يسخر مني» ثم ضحكت واشرقت عيونها، كم هي جميلة.

ولكنها ليست اجمل من ميلاني، ولكن كيف يكمن

لهالام ان يكون مرتبطاً بامرأة اخرى ويخرج مع اختها؟ حتى انه خرج معها ثلاثة مرات في نفس الاسبوع!.

«انا آسفة» قالت لها فانيسا عندماتوقفت عن الضحك «لو تعلمين ما اخبرني به هالام عنك!».

تساءلت بيب الى اين تريد فانيسا الوصول.

«هذا الصباح، رأيت جيوفري في الحديقة مع فتاة، ولكني لم اعلم بأنها انت، وعندما افكر انني جئت الى هنا للدفاع عن سعادتي... كان يجب ان انتظر لكي اراك، وكنت اخاف ان اواجه احدى الحمراوات المتصنعات...».

«حسناً، والآن اطمأنيت، ماذا قال لك الدكتور بالتحديد عني حتى قلقت لهذه الدرجة؟».

«لقد قال لي انك لطيفة وطلب مني ان اكون طيبة معك».

لم تعلق بيب على كلامها، لكن المزاح كان قاسياً، فكتبت ملاحظاتها، واتجهت نحو الباب.

«هل شعرك طبيعي، ام انك تصبغينه؟».

هذا كثير! ففتحت بيب فمها لتجيب لكن الطبيب دخل فجأة.

«عزيزي!!!» صرخت فانيسا واقتربت منه ووضعت يدها على ذراعه بدلال.

«ان سكرتيرتك لطيفة جداً، هالام، وهي حقاً تمتلك شكلاً مميزاً».

ادركت بيب انها اذا لم تخرج فوراً فستحصل فضيحة.

مميزة؟ ان غضبها الآن منصب على رئيسها وليس على هذه البيغاء التي تكثر من الماكياج، وهذا المتعجرف يرى انها مميزة، لماذا لا يراها مثيرة! يبدو انه يجد سعادة في السخرية من الأخرين...

وقفت بيب امام المرآة في غرفة الفحص، نعم ان شكلها مميزاً، وخاصة هذا الشعر الأحمر فخبأت وجهها بيديها، انهما بالتأكيد يسخران منها في الغرفة المجاورة، وبحركة عصبية، نفشت شعرها.

«مميزاً» همست بصوت حزين. وفجأة شعرت بيد تربت على كتفها، فانتفضت عندما لاحظت عيونه التي تتأملها بمودة.

«لا، بيب» قال لها هالام «انا لم اقل هذا ابداً، حتى ولو قلت ذلك، فهذا ليس انتقاصاً لك».

لقد ناداها بيب! فشعرت بقلبها يدق بسرعة، فهي لا يهمها رأي هذه المتكلفة، والأفضل ان لا تناقش! لم يكن يجب عليها ان تفكر بصوت مرتفع.

«اتساءل اذا كان اخوك ايضاً يجد شكلي مميزاً».

وندمت بسرعة على هذا الكلام، عندما لاحظت شحوب وجه هالام.

«لماذا لم تسأليه؟ اذا كان فعل الاثارة يهمك».

«اي فعل؟».

«لا تدعي البراءة، فمنذ وصوله وانت تحومين حوله، وهذا الكذب بخصوص سيمون، كان من اجل حماية نفسك، واثارة الشفقة، وانا لم اتفاجأ عندما علمت انك

www.elromancia.com

تتمنين الزواج من اخي الغبي هذا، لقد رأتكما فانيسا هذا الصباح في الحديقة، وكان يضع ذراعه حول كتفيك، ولم تتحقق جيداً مما كنتما تفعلانه، وقد يكون قد قبلك» وكان يبدو عليه انه لا يستطيع تمالك غضبه.

«هذا كان لطف منها، وسأشكرها في المرة القادمة عندما تأتي وتنشر رائحة عطرها الجميل في مكتبك».

- ٧ -

وكانا يقفان في وجه بعضهما، والايدي على الخصر كأنهما عدوين، ولاحظت بيب فجأة التعب على وجه الطبيب، لقد كان طيلة الصباح في غرفة العمليات، وبعد الظهر يفحص المرضى في عيادته، ويجب عليه ان يرتاح قليلاً.

«انك تعمل كثيراً» قالت له «يجب عليك ان ترتاح بدل الدخول في نقاشات حول سوء فهم سخيف، عندما مرت صديقتك الآنسة فانيسا، كان اخوك ينظف لي عيني من غبار وقع فيها، وليس اكثر من ذلك».

تفاجأ هالام، وبدت الدهشة عليه، وتمتم بعبارات غير مفهومه وكانت دهشته من وجود احد يهتم به ويطلب منه ان يرتاح بعد عمله المضني، ولكن ماذا يهم بيب؟ وعدة

www.elromancia.com

اسباب تسارعت في رأسها فدفعتها بعيدا، كلها اسباب لا تجرؤ على الاعتراف بها، واستقرت اخيراً على سبب اقنعت نفسها به، اذا وقع الطبيب مريضا، فهي ستجد نفسها بدون عمل وبدون مأوى.

«أأنت قلقة على صحتي؟» سألها بهدوء.

لم تجبه الفتاة واخفضت رأسها.

«بيب، اجيبي، هل انت صادقة؟» ورفع رأسها نحوه، ما هذه اللعبة الجديدة؟ منذ قليل كان يتهمها بأنها تحاول اغراء جيف، والآن هو يحاول مغازلتها، اين كانت فانيسا؟ انه يسخر منها بدون شك، ويجب ان يعلم انها ليست مغفلة، ففتحت فمها لتقول له ذلك، لكنه اسرع وتناول شفتيها بشفتيه بكل لطف ورقة، ونسيت فجأة كل ما كانت تفكر به، وتركته يضمها الى صدره، وكانت قد قرأت عدة مرات ان الفتاة تفقد عقلها بين ذراعي الرجل، ولكن بالنسبة لها، وحتى اليوم لم تكن تصدق ذلك، والآن فقط فهمت ان هذا كله حقيقي.

كان كل شيء يدور حولهما، انها تحبه، نعم، وهذا هو التفسير الوحيد، اخيراً ادركت حقيقة مشاعرها، انها تحبه، واخذ يداعب شعرها بشفتيه، ويهمس بكلمات عذبة في اذنيها.

«يا صغيرتي، ما الذ شعرك! انه ذهبي ممزوج بأشعة الشمس عند الشروق» وقبل عنقها ويداه يداعبان شعرها، فضاعت بيب في بحر من اللذة وتركته يفعل، سعيدة وخجولة بنفس الوقت ورغبت بالبكاء والصراخ معاً،

وفجأة، دفعها عنه ورأته يستعيد انفاسه، ويعود لنفس الشخص البارد الذي تعرفه جيداً.

«دعيني!» قال لها غاضباً «يا الهي، ماذا فعلت؟» وكان كأنه استفاق من كابوس مرعب.

«رجل بمثل سني يغازل طفلة!» وكان صوته يرتجف، ولم يعد بإمكان بيب ان تتحمل اكثر، ماذا تقول له؟ اتعترف بأنها تحبه؟ عندئذ سيضحك عليها، لا، الافضل ان تسكت كي لا تسمح له بأن يسخر منها.

«انا لست طفلة! ولكن اين الآنسة كيلفتون؟» سألته بجفاف.

«فانيسا؟ لقد نسيتها تماماً، جئت لكي... لست ادري، لكني بالطبع لم آت لكي اتصرف بهذه الطريقة السخيفة» ادركت بيب ان حلمها الجميل تبدد.

«اعذريني، لقد فقدت صوابي».

«افهم تماماً، دكتور لن نتكلم في هذا الموضوع».

واستعادت سيطرتها على نفسها وتأملته وهو يخرج دون ان ينقبض قلبها، ان هذا الذي خرج هو رئيس عملها، وليس الرجل الذي تحبه، هالام الثاني».

مر نصف شهر التجربة الأول بسلام، وعاد جيوفري الى يوركشير بعد قضاء اسبوعين، وكان دائماً لطيفاً، واعتقدت بيب انه كان يريد ان يكلمها اكثر من مرة ليشرح لها عن اخيه، لكنه لم يفعل، والعمة نورا اصبحت اكثر لطفاً، يبدو انها قبلت اخيراً فكرة بقاء بيب هنا، واعجبها الطفل سيمون مما ادهش بيب وميلاني، من المؤكد ان هالام اخبرها ان

www.elromancia.com

هذا الطفل له والد تزوج شرعياً من ميلاني.

وبعد تلك القبلة، لم تعد بيب ترى الدكتور هالام الا اثناء العمل، ولم يكن يكلمها الا عند الضرورة واعتبرته بيب كباقي الرجال الذين يأخذون لذتهم ثم يرمون بالنساء جانباً، وهم شنيعون لا يفكرون الا بالدوس على قلوب ضحاياهم، واقتنعت بيب ان هالام لا يستحق التفكير به، ولم تشعر حتى بالألم، وسكنها الفراغ القاتل، وكانت تعمل كثيراً وتنام قليلاً، وفي ساعات الراحة كانت ترفض التفكير به لكنها لا تستطيع، وعندما كانت فانيسا تأتي كل يوم وتدعوها الجزيرة كانت بيب تتركها تفعل، ولم يعد هالام يدعو ميلاني للخروج وكان يخرج مع فانيسا يتنزه في الحديقة، وبيب لم تكن تقول شيئاً، ولاحظت حزن اختها ميلاني التي لم تعد تغادر المنزل، وتحصر كل اهتمامها بسيمون، وهذا سبب اضافي لكي تكره هالام! واشفقت على اختها التي جرح قلبها مرتين، مرة مع بيتر الكسول المدمن على الكحول، ومرة مع هالام الكاذب المستغل الاناني، وكرهت بيب كل الرجال، ولكن رغماً عنها بقي في قلبها مكان لرئيسها، ان الحدود بين الحب والكراهية رفيعة جداً.

مر الشهر الأول، ولم يعد هناك خوف من الرحيل حالياً، واستمرت الحياة كالسابق، فكانت تعمل في العيادة ثم تهتم بالعمة نورا، فاذا الحية ليست مرحة، الا انها لم ترم بالفتاة في الشارع

وبعد ظهر احد الأيام سألتها العمة نورا: «هل ابن اخي

يحسن معاملتك؟».

ترددت بيب، واخذت تدير الخاتم في اصبعها.

«في هذه الفترة، اصبح لا يطاق».

«ايتها المسكينة! على كل حال هذا لا يدهشني، الا تعلمين انه ارمل؟».

«ارمل؟ حتى انني لم اكن اعلم انه كان متزوجاً، ولكن اليس لديه اولاد؟» سألتها بيب بدهشة، وهي تتصور هالام والد شيء قاسي.

«لم تكن زوجته باتريسا تريد الانجاب، كانت تكره الصغار، وتكره ما يربطها بالحياة العائلية الطبيعية. كانت من نوع النساء اللواتي لا يعرفن كيف يقلين البيضة، وكان يغمى عليها اذا رأت نقطة دم واحدة، كانت تستبد بكل شيء وكان المسكين لا يعرف الا ان يوافق، وكان يردد دائماً، باتريسا لا تحب هذا، هذا لا يعجب باتريسا، وكانت تزور صالون الكوافير يومياً تقريباً، وترفض دائماً الكلام عن الاولاد بينما كان هو يريد ان يصبح اباً، بالمناسبة، اتحبين انت الاطفال؟».

«انا اعبدهم، تصوري ان هالام كان يعتقد ان سيمون هو ابني انا».

«وانا ايضاً».

«واعتقد انه اصبح قاسياً اكثر معي عندما علم ان سيمون هو ابن ميلاني».

نعم، من هذه الناحية هي متأكدة، بالطبع كان يريد ميلاني، ولكن بدون الصبي الصغير، ولكن ما هو دور

فانيسا في كل هذا؟.

«ماذا ستفعلين الآن، بيب؟ انا سأسافر فأبنة اخي شقيقة هالام تريدني ان اعيش عندها في تريتو».

احست بيب بالصدمة، الآن فقط فهمت ما تمثل هذه العمة بالنسبة لها، ورغم بداية علاقتها الأولى، الا انها تكن لها محبة كبيرة، ورحيلها يحزنها.

«احقاً سترحلين؟».

«نعم، وسترتاحي هكذا من بعض التعب».

«هالام لديه الكثير من العمل، فلا تخافي، سيجد لي عملاً آخر يشغلني به».

«بالنسبة له، نعم لديه الكثير من العمل، لكن المشكلة هي في اليزون».

«اليزون؟» ارتعشت بيب، وما دخل هذه الامرأة الا تكفيه فانيسا؟.

«اليزون هي ابنة اخته، وهي تتقدم للامتحانات، وهالام وعدها بشقتك».

«بشقتي...؟».

«هذا وعد قديم، اقترحه هالام قبل ان يفكر بتقديم هذه الشقة للمساعدة الحالية».

«ولكنني اقيم فيها! اتعتقدين انه سيطردني».

«لا، لا اعتقد ذلك، ولكن الا تملك اختك مكاناً آخر تعيش فيه؟».

هزت بيب رأسها، اين تذهب؟ ماذا تفعل؟.

- ٨ -

وفي اليوم التالي، كان الطقس جميلاً، والطبيب كان قد خرج فخلعت مريول التمريض، وخرجت حافية القدمين تتنزه في الحديقة، وكانت ترتدي تنورة قصيرة وبلوزة قطنية، وقد فكت شعرها وتركته يسترسل على كتفيها، وعندما عادت وجدت اختها ميلاني وابنها امام الباب بانتظارها.

«ميلاني، ما بك؟ هل سيمون مريض؟».

«لا، انه بخير، لكننا راحلان».

«لماذا؟ ولماذا بهذه السرعة؟».

«سنذهب الى منزلنا، ونعيش مع بيتر».

«بيتر! مستحيل».

«بيب، انا احبه، ومكاني الى جانبه، بالطبع انت لا

www.elromancia.com

تفهمين».

احقاً هي لا تفهم؟ الحب والكراهية! واحست بالارتعاش فجأة.

«فانا بانتظار سيارة التاكسي، واريد ان اكون في المنزل قبل عودة بيتر».

اذن ستعود بيب للوحدة، لقد ضاعت تضحيتها سدى، ولقد كذبت عليها ميلاني عندما قالت لها انه انفصال نهائي، لكنها للحقيقة كانت تريد ان تلقن بيتر درساً، على حساب بيب طبعاً.

«اتعتقدين ان الامور ستتحسن بينكما هذه المرة، ميلاني؟».

«يجب ان احاول بيب، اتفهمين؟».

بماذا ستجيبها؟ اتخبرها بأن قريبة هالام ستصل قريباً؟ ولكن لا، انها لا تريد ان تثير قلق اختها، فقد يحتفظ بها الدكتور في منزله الكبير، ثم تنهدت، انها تحب العيش هنا، ومنذ وصولها وهي تعتبر هذا المنزل منزلها.

«بالنسبة لك انت، بيب بإمكانك ان تجدي لك عملاً آخر، في مستشفى مثلاً».

يا لك من انانية صغيرة، وماذا سينفعها الغضب، مع ان كل ذلك بسببها هي، ثم قبلت اختها والطفل سيمون وعادت الى مكتبها، وما ان فتحت الباب حتى وجدت نفسها وجهاً لوجه امام هالام، وكان يبدو عليه التعب وعيونه حمراء، فالتقت نظراتهما، وانتظرت ان يطلب منها الرحيل، ولكنها كانت تتمنى البقاء هنا.

«لقد اخبرتني عمتي نورا انها اخبرتك» واخذ يتأمل قدميها الحافيتين.

«لم اكن اتوقع ان تعود باكراً» قالت له وهي تشعر بالخجل.

«لاحظت ذلك».

احمر وجهها وجلست على اقرب كرسي، وكانت تنورتها قصيرة جداً.

«المشكلة ان ابنة اختي بحاجة لهذا المكان، وهي لم تنسى وعدي لها، وهي ستتزوج قريباً، وتعد الآن لرسالة الدكتوراة في هذه المنطقة، ولهذا السبب كتبت الي تذكرني بوعدي القديم».

«لقد فهمت دكتور».

«هل بأمكانك ان تقيمي في المنزل؟».

«وماذا ستقول الآنسة كليفتون؟ لا اعتقد ان هذه الفكرة ستعجبها».

«بالفعل» اجابها هالام مبتسماً.

«لقد رحلت ميلاني».

«علمت بذلك، اخبرتني بنفسها».

ثم تأملها قليلاً واضاف: «هذه الملابس تناسبك اكثر من زي الممرضة، ارى انه من الافضل ان تتخلي عن ذلك الزي الابيض، على كل حال طالما ان ميلاني رحلت، فهذا يغير اشياء كثيرة».

اعتقدت بيب انه حان الوقت لكي يطردها، فوقف لكي تتمكن من الدفاع عن منصبها.

www.elromancia.com

«بيب، اتقبلين الزواج مني؟».

جحظت عيون الفتاة ولم تصدق اذنيها، لا بد انها لم تفهم ما قاله، ام انه يسخر منها مرة جديدة، واخذ قلبها يدق بسرعة، وفتحت فمها لكنها لم تقو على الكلام، تقدم هالام خطوة منها، فتراجعت للوراء وهي تشعر بالخوف.

لقد اصيب بالجنون، والا فماذا يفسر هذا الطلب؟.

«اوه، من اجل السماء اجيبي، مما تخافين؟ انا لا اريد ان اغتصبك».

«انا... انا....».

«انك تبدين في الخامسة عشرة بهذه الملابس» ثم ابتسم، لكن بيب اعتقدت انه متوتر.

«ولكن، لماذا؟».

«اعتقد انه هذا امر بديهي، هل انت بحاجة للشرح؟».

«لا، لكن....».

«لا يمكننا مناقشة هذا الامر هنا، فأنا مشغول الآن، وادعوك لتناول العشاء وسيكون لدينا متسع من الوقت للكلام، سأمر عليك في الساعة الثامنة» ثم خرج وتركها وحدها.

فرمت بيب نفسها على الكنبة، انه طلب زواج! زواج من الدكتور هالام فيلدينغ، فضحكت ضحكة خفيفة ايمكنها ان تطلق عليه الآن اسم خطيبها؟ وفجأة احست بنفسها خفيفة جداً، وهكذا ستصبح السيدة فيلدينغ، غير معقول! ولكن لماذا يطلبها للزواج؟ وتتابعت الاسئلة في رأسها، يجب ان تكتشف السبب، ولذلك يجب ان تفكر بهدوء،

فغادرت المكتب وهي تحمل صندلها بيديها، ودخلت الى شقتها، واستلقت على السرير، واخذت تفكر.

هالام لا يعرف اين يجعلها تسكن، والعمة نورا ميلاني رحلتا، ولم يعد هناك احد في المنزل الكبير، وابنة اخته لن تتأخر في الوصول، ولكنها ستسكن بقربه، والدكتور فيلدينغ يخاف على سمعته، ويجب عليه ان يفكر بزبائنه الاثرياء، وبردة فعلهم عندما يعلموا بأنه يعيش وحده مع ممرضته الشابة، هكذا اذن، هذا هو السبب بكل بساطة، لا حب، ولا محبة، انها وسيلة عملية لتجنب الشائعات فقط.

زوجة هالام! واحست برغبة للغناء والبكاء بنفس الوقت، اسم هالام، حياته ذراعيه... هالام! كم تحبه! ستحاول ان تسعده مهما كلف الأمر، انه لا يحبها، لكنه سيحبها، ستفعل المستحيل لكي تحظى بحبه.

ثم فتحت خزانة ملابسها، انها المرة الأولى التي يدعوها فيها للخروج، ويجب ان تكون جميلة، وان تشرفه، جميلة! وفجأة فكرت بـ فانيسا وتبدد حماسها، ماذا ستفعل فانيسا وماذا ستقول؟ لقد ادعت مرة انها خطيبته ونادته يا عزيزي انها منافسة صعبة! ولاحظت ان ميلاني اخذت معها ثوب بيب المفضل وعلبة ماكياجها وحذاءها ايضاً، هذه كارثة! وعادت تفكر بـ فانيسا الانيقة، على كل حال من الصعب جداً محاربتها بمثل هذا السلاح، ماذا سيظن هالام؟ فليفكر كما يحلو له، اذا كان يخجل معها، فهذه مشكلته، فليست هي التي دعته لهذه السهرة، وليست

مسؤولة عن فقرها، بالطبع كانت تكسب في الماضي، لكنها كانت تدفع ثمن ملابس والعاب سيمون، لأن والده بيتر كان ينفق راتبه كله على شرب الكحول، ولولاها لكان الصبي يرتدي الملابس البالية.

فارتدت ثوبها الازرق لا بد ان ميلاني نسيت ان تأخذه ايضاً، فاذا لم يكن بامكانها ان تشرف هالام، فهي على الاقل لن تجعله يشعر بالخجل.

www.elromancia.com

- ٩ -

وفي الساعة الثامنة تماماً، جاء هالام، وكان يرتدي بدلة انيقة، لا بد انها كلفته ثروة، وكان يضع ازراراً مذهبة على اكمام قميصه، بالطبع هو لم يكن يوماً فقيراً، وهو لا يمكنه ان يفهم ان هناك اشياء اهم بكثير من انفاق المال على الملابس الثمنية، وهذه الفكرة ازعجتها طوال الطريق، فهي لم يسبق لها ان ركبت سيارة رولس رايز، ولكن النظرات التي كان ينظرها هالام اليها خلسة زادت من قلقها، اما في المطعم، فكانت هناك مسألة الاحراج الكبير.

انه مكان فاخر لم يسبق لها ان رأت مثله، كأنه قصر من الزجاج والفضة، ورغم صغر سنها كانت بيب دقيقة الملاحظة، وعندما اختار طاولة منزوية، ادركت بيب انه

بعد الزواج لن يدعوها للخروج معه، نعم، فالسيدة فيلدينغ لا تشرف زوجها الدكتور هالام فيلدينغ، فهي ليست من النوع الذي يبهر الانظار، انها فقط للمطبخ، والمكتب وللعيادة ولقضاء السهرات وحدها قرب نار الموقد، حتى بدون حب، انه لا يحبها، وهذا شيء مؤكد، انها صفقة عمل، مسكن مقابل عمل كثير ووضع اجتماعي.

ولكن هي تحبه، وكلاهما بحاجة لهذا الحب، ورغماً عنه ستجعله سعيداً، وكل ما تطلبه القليل من اللطف.

طلب هالام بعض المقبلات التي لم يكن لدى بيب اية فكرة عن طعمها، وكانت تريد ان تكلمه عن فانيسا، لكن لم تجرؤ.

«اتريدين القليل من الويسكي؟».

«عفواً؟ آه الويسكي؟ نعم، لو سمحت».

فسكب لها كأساً تذوقته، وجدت انه حاد قليلاً ورغم ذلك شربته بسرعة.

«ماذا تحاولين ان تفعلي؟» سألها بلهجة حادة وكأنه ينهر طفلاً صغيراً، فاحمر وجهها، لماذا تفعل دائماً اشياء ليست مناسبة؟ متى ستتمكن من ارضائه؟.

ثم سكب لها كأساً آخر، لكنها هذه المرة، لم تجرؤ على لمسه، واحضروا لهم العشاء، ولم تستطع بيب تحديد نوعية هذا السمك، وهذه الشورباء فتذوقتها ووجدتها لذيذة حقاً، فشربت جرعة من الويسكي، وشكرت هالام على هذا العشاء، لكنه نظر اليها بتعالي.

«نحن لم ننتهي من العشاء، لا يزال هناك لحم العجل

وانا متأكد انه سيعجبك».

«هذا لطف منك ان تدع لي الخيار» قالت له بسخرية.

«بيب!» قال لها غاضباً.

«للحقيقة انا لا احب لحم العجل، ولكن من الواضح انني لست مهمة لكي تسألني ماذا اريد ان آكل، وعندما تخرج مع فانيسا، هل تفرض عليها ايضاً ان تأكل على ذوقك انت؟» وتلألأت الدموع في عينيها.

«انت لست سوى طفلة مدللة» قال لها غاضباً «لا بد انني فقدت عقلي...».

«هذا ممكن، الا يجب علينا ان نناقش طلبك؟».

«آه، نعم! اعتقد انه ليس من اللائق ان نسكن نحن الاثنان في منزل واحد، وحدنا».

«طبعاً، فأنت لديك سمعتك».

«وانت ايضاً، هذا مفهوم».

«هذا لطف منك ان تفكر بسمعتي» وبسرعة ندمت على هذا الكلام لأنها لاحظت غضبه.

«لهذا السبب عرضت عليك فكرة الزواج، والخيار يعود لك انت، فالممرضة فارل ستتقاعد في الربيع، وهذا يسمح لها بأن تساعدك في الفترة الأولى».

لم بأمكان بيب ان تتمالك نفسها اكثر، قد يطلب منها بعد قليل ان تنوب عن البستاني ايضاً!.

«وماذا بالنسبة لفانيسا؟ لقد اخبرتني بأنك خطيبها، ولا اعتقد انها اخترعت هذا الشيء، هل سبق لك وطلبت يدها للزواج؟».

www.elromancia.com

«لا، انها واهمة».

«اذا كانت عشيقتك، فمن الطبيعي ان تظن بأنك ستتزوجها» ولشدة توترها، اخذت تغرز الشوكة باللحمة بعصبية.

«بيب، حباً بالسماء، توقفي عن هذه الحركات، وتوقفي عن استجوابي، وتصرفي كالبالغين، واذا كنت لا تحبين هذه اللحمة، بإمكاني ان اطلب لك شيئاً آخر».

«في المرة القادمة عندما تدعوني للعشاء، اطلب لي لحم الزجاج».

يبدو انه وجد كلامها مضحكاً، لكنه اكتفى بالابتسام، وتناولا الطعام دون ان يتبادلا اية كلمة، وعندما احضروا لهم الحلوى، تذوقته وابدت اعجابها به.

«يجب ان تعلمي» قال لها فجأة «ان هذا الزواج لن يكون سوى عرض عملي فقط، بالتحديد زواج صوري، فأنا لست مجنوناً لدرجة ان اطلب الزواج من طفلة في عمرك انت».

«لا، بالطبع!» وتفاجأت بيب لأنها استطاعت ان تتمالك اعصابها، اذن هي ليست مناسبة لكي تكون زوجة حقيقية! بالنسبة لها الاستعباد، اما بالنسبة لغيرها الثروة والمتعة، فالطبيب رجل عملي، وزوجته موظفة عنده، لا تستحق ان يمارس الحب معها.

«اتساءل ماذا سيكون رأي جيف بكل هذا» قالت له بحدة وهي واثقة من ردة فعله.

في البداية لم يجبها وكأنه لم يفهم، ولكن بيب اضافت

بنفس اللهجة.

«يا لها من مفاجأة بالنسبة له، انا متأكدة انه لم يتخيلني زوجة لأخيه».

واخيراً ثارت اعصابه وامسك يدها، بعنف.

«انا امنعك من الكلام هكذا عن اخي، اتفهمين، بيب؟ لن اسمح لك بذلك مهما كلف الامر».

اهو غيور؟ ايمكن انه متمسك بها قليلاً؟.

«جيف يصغرني بعشرة اعوام، هو تقريباً كولدي وانا احبه كثيراً، وادا كنتما تعتقدان انكما تلعبان فأنتما مخطئان، وانا لا اريد ان يستغل احد جيف، ولا حتى ضدي انا فهمت؟».

ثم شربا القهوة بسرعة، لقد قال هالام كل ما يريده.

ولا مبرر لإضاعة الوقت، فهو ليس رومنطيقياً، ولا يهتم بمشاعر الآخرين، وعادا والدموع تتلألأ في عيون الفتاة، على كل حال هي لا تطلب شيئاً، وبقليل من الحظ قد نجد نفسها سعيدة ذات يوم، فشعاع حب قليل يكفيها، وحتى وعد ببعض المحبة.

«سأريك المنزل» قال لها عندما وصلا «فأنت لا تعرفين الا قسماً منه».

«نعم، المكتب شقة العمة...».

«اعتقد انك لن تخافين بعد اليوم على سمعتك».

«من ماذا يجب علي ان اكون مسرورة؟».

«منا نحن، من معرفة ان هذا مجرد زواج عمل، ولكن لماذا انت حزينة، هل هناك شيء لا يسير على ما يرام؟».

www.elromancia.com

«اوه، لا» ولم تكن تريد ان تزعجه بهموم قلبها، وامسك بيدها وصعدا الى الطابق الأول لكي يريها غرفتها، وكانت الغرفة واسعة بالنسبة لزوجة ستعيش عزباء، رغبت بيب بالصراخ وبأن تتعلق به وتعلن له حبها الكبير، انها بحاجة كبيرة للمحبة، وهي لا تريد زواجاً للضحك فقط، وهي تتمنى ان يشاركها هالام هذه الغرفة، وان يكون زوجها حقاً.

«يوجد ايضاً خمسة غرف وخمسة حمامات، وسنغير الغرفة المجاورة لكي تصبح صالوناً خاصاً بك».

«الا يمكنني ان استعمل الصالون السفلي؟».

لم يجبها هالام واكتفى بهز كتفيه، بدون شك هي ليست جديرة بهذا الرجل.

«هل اعجبتك الغرفة؟».

www.elromancia.com

- ١٠ -

نعم، انها اجمل مكان عرفته بيب، لكنها ليست متحمسة، وهي تجد نفسها لا تختلف عن اية قطعة من اثاث هذه الغرفة، وكانت متعبة جداً وقد اثر فيها شرب الكحول، فرمت نفسها على السرير فتأملها هالام قليلاً ثم خرج.

عندما استيقظت، احتاجت لبعض الوقت لكي تتذكر انها تنام في غرفة مظلمة ليست غرفتها وما ان لامست يديها الشرشف الحريري حتى عادت اليها الذاكرة، وما ان اعتاد نظرها على الظلام حتى نهضت واشعلت النور، وكانت الساعة تشير الى الثانية ليلاً، يجب ان تعود الى شقتها، فخرجت من الغرفة على رؤوس اصابعها، ونزلت السلم بسرعة، فوجدت نوراً تحت باب غرفة مكتب هالام،

فقررت ان تخبره بعودتها الى شقتها.

ولكنها وجدته نائماً على الكنبة ووجهه منحنياً فوق صدره، وكان قد خلع حذاءه وجاكيته وحل ربطة عنقه.

وكان يبدو لطيفاً جداً وهو نائم، كم هو جميل، وكم تحبه! فخرجت من مكتبه بهدوء، لكنها وجدت الباب الخارجي مقفلاً، ماذا ستفعل؟ لكن فكرة العودة الى الطابق العلوي لا تعجبها، ولا تجروء على القفز من النافذة بهذا الظلام، فعادت الى مكتب هالام، وجلست على كنبه وغطت نفسها في جاكيت هالام، ونامت بسرعة، وارتسمت ابتسامة على ثغرها وهي تحلم بالحياة السعيدة مع هالام، وفجأة مع الفجر، استيقظت على يد تهزها بعنف.

ففتحت عينيها ورأت وجه هالام على بعد اصبعين من وجهها، وحاولت ان تشرح له سبب وجودها، لكنه لم يترك لها مجالاً.

«ماذا تفعلين هنا؟ اخرجي فوراً من هذا المكتب! اعتقد ان كلامي كان واضحاً عندما قلت لك انه لن يحصل شيء بيننا».

ولم تجبه بيب، لأن فكرها كان لا يزال تحت تأثير النوم.

«لقد عرضت عليك الزواج، ماذا تريدين اكثر».

«كنت اريد العودة الى شقتي، ولكني وجدت الباب مقفلاً، وخفت النزول من النافذة...».

«اعتقدت انك ستتصرفين اخيراً كامرأة بالغة، لقد قدمت لك عرضاً مشرفاً، وانا لا ازيدك ان تلعبي معي هذه

الادوار، هيا انهضي! سأرافقك» ثم امسك بيدها بعنف، فصرخت من الألم.

«انا لست كلباً، لماذا تعاملني هكذا؟ لدي قلب، ومشاعر كبقية البشر».

فاخذ هالام فيلدينغ يضحك.

«بسنك هذا؟ لا تتكلمي فيما لا تعرفينه، دعي هذا للفتيات الكبيرات».

فتبعته وهي حزينة، بالنسبة للكبيرات لهن كل الاحاسيس، اما بالنسبة لها، فاللوم والعتاب والهم، وقالت لنفسها «انتظر هالام، لا تلعب دور المستبد، فأنا سأتزوجك وسأجعلك تعيساً كما جعلت مني بائسة».

وتم الزواج بعد اسبوعين في حفل بسيط، ولم تكن بيب تصدق ما يحصل، انها تتزوج من الرجل الذي تحبه وتكرهه بنفس الوقت، وربطت مصيرها بمصير رجل لا يهتم ولا يدري بعمق احاسيسها، وكان هالام، هادئاً مطمئناً، غائباً، فبالنسبة له انه زواجه الثاني.

ولقد اخبرتها العمة نورا عن زواجه الأول، وكان حفل زواجه عيداً كبيراً ضم ثلاثمائة مدعو من كبار رجال الاعمال، واخبرتها عن لائحة الهداي الثمينة التي وصلت للعريسين، مما اثار غيرة بيبة من عائلتي هالام وباتريسا.

اما اليوم فلم يكن هناك احد يمثل عائلته، سوى العمة نورا، وكانت بيب قد توسلت له لكي يسمح لها بدعوة ميلاني، لكنه رفض خوفاً من ان زوجها بيتر كل لأنه مدمن على الشرب وقد يعرض هالام للاهانة، نعم، يجب ان

www.elromancia.com

تفكر بسمعة زوجها، رغم شوقها لأختها ولسيمون، انهم كل عائلتها، وتم عقد الزواج، وكان كل شيء يشبه الكابوس، وكانت تخاف ان تستيقظ فجأة وتجد ان كل هذا كان مجرد حلم.

وفي المنزل، لم يكن هناك ورود ولا شمبانيا، والكاتو كان من صنع باتيسري البلدة، وقفت بيب في احدى الزوايا، لا ترى ولا تسمع شيئاً، واقتربت منها العمة نورا.

«ابذلي بعض الجهد، يا ابنتي، حاولي ان تظهري سعادتك، فهو يوم كبير بالنسبة لك» وقبلتها بمحبة وحنان واضافت: «كان بإمكان هالام ان يفعل اكثر من ذلك، على الاقل ان يحضر شمبانيا».

«ولماذا؟ فهذا ليس يوماً كبيراً بالنسبة له، انها مجرد عمل فقط».

«بيب!» اصيبت العمة بصدمة كبيرة، ولم تستطع ان تضيف اية كلمة أخرى، وانضمت الى هالام الذي يتحدث مع بعض المدعوين، وكانوا كلهم كبار، وشعرت بيب بالاحراج من نظراتهم الفضولية، وكأنهم يتساءلون لماذا تزوج هالام هذه الفتاة؟ واقترب منها احدهم وهو السير بيتر، وكان رجلاً مسناً، وكان يضع نظارتين صغيرتين، وتمنت ان يرحل بسرعة مع الآخرين لكي تفكر بهدوء بمستقبلها.

«لقد حان الوقت لكي نتكلم معاً» قال لها مبتسماً ودعاها للجلوس، جلست بيب وجلس الرجل الى جانبها.

«اعتقد ان هالام...».

«على وشك ارتكاب غلطة كبيرة» قاطعته بيب وكانت قد بدأت تفقد صبرها، وتبحث عن احد تهاجمه، فنظر اليها الرجل وكأنه لا يصدق ما سمعه، فندمت بيب، لم يكن يجب عليها ان تقول هذا، خاصة الى هذا الرجل الوحيد الذي ابدى اهتماماً بها، انا هالام محق، فهي لا تعرف كيف تتصرف مثل الكبار، فحاولت الاعتذار، لكن السير بيتر قاطعها.

«تعتذري، واعلمي انني افهمك، هذه حفلة مملة وخاصة بالنسبة للذين حضروا حفلة زواجه الأول، فأنت بدون شك علمت بالحفل الكبير الذي اقيم بمناسبة زواجه من باتريسا».

«نعم، ولكني فضلت ان يكون هذا الحفل بسيطاً، فأنا لست قادرة حتى الآن على استقبال الكثيرين مرة واحدة».

«انا افهمك! وباتريسا كانت احدى قريباتي البعيدات».

«اوه! هل كانت جميلة؟» سألته بدون تفكير، وهذا يعني انها بدأت تغار من السيدة فيلدينغ الأولى، مع ان هذا مجرد غباء، ولكن اذا علمت الكثير عن باتريسا، فهذا يجعلها تتعرف اكثر على زوجها، فهي حتى الآن تجهل كل شيء تقريباً عنه، انه جراح مشهور، وهو لا يحب السكر مع الشاي، انها تتزوج من رجل مجهول حقاً.

لم يجبها الرجل فوراً، فقد تكون باتريسا هذه امرأة جميلة جداً، وفجأة سحب الرجل خافظة نقوده واخرج منها صورة، وكانت هذه الصورة لهالام وزوجته الأولى في حفل الزواج.

www.elromancia.com

«نعم، اعتقد انها كانت جميلة» قال لها الرجل اخيراً.

ولاحظت بيب ذلك بنفسها، وباتريسا هذه تشبه اعارضات الازياء، فأحست بيب بالدموع تتلألأ في عيونها، وتساءلت بماذا يفكر هالام عندما يتذكر جمال زوجته الأولى؟.

«كانت قريبتي كاملة، وباردة وقاسية كالالماس».

فنظرت اليه بيب بدهشة، عندئذ ابتسم لها، واضاف: «صدقيني، يا صديقتي الصغيرة، افضل شيء فعله هالام منذ سنين طويلة هو الزواج منك، وانا متأكدة انك ستتمكنين من اسعاده اكثر من باتريسا».

ثم داعب خدها بيده بحركة ابوية واستعاد الصورة من يدها. وتركها وحدها تفكر ماذا فعلت باتريسا لهالام، هل هو يتعذب؟ ولم يطل تفكيرها لأنها فجأة التقت نظراتها بنظرات فانيسا، لقد اصر على دعوتها، مع انه رفض ان يدعو اختها ميلاني، لأن فانيسا هذه هي ابنة زميل له، لكنه يهتم بها كثيراً، وهو يريدها ان تكون بقربه، ولا شيء يمكنه ان يمنعه من ذلك حتى غضب بيب.

نهضت بيب، ولم يعد بإمكانها تحمل ان تبق مراقبة من قبل منافستها وبعد قليل رأته يبتعد هو وفانيسا وهما يضحكان، «على كل حال، يبقى لي المكتب والزيارات والمنزل، فلا يمكن للمرء ان يمتلك كل شيء».

وكان هالام قد سمح لها بأتمام دراستها، بشرط ألا تبدأ قبل سنة، وهذا اجمل خبر سمعته منذ عدة ايام، ويساعدها على تحمل كل شيء، الصمت النظرات المشفقة،

الاحتقار، وكان هذا الوعد بأتمام دراستها هو اجمل هدية بمناسبة الزواج، وبعد الزواج لن يقطع علاقته بفانيسا.

وبعد قليل اشار لها هالام وكان يقف امام الباب، لكي تنضم اليه لأن المدعوين بدأوا بالخروج، وكان هالام قد قرر قضاء اجازة في لندن كي ينقذ الظواهر، فجراح مشهور مثله يجب عليه على الاقل ان يصطحب زوجته الى العاصمة، وكانت بيب قد اعدت حقيبتها وبدلت ملابسها، وهالام ينتظرها في الكاراج.

وطوال الطريق، ساد بينهما صمت ثقيل، وكان السير كثيفاً وهالام يركز كل انتباهه على الطريق، وشعرت بيب بصداع خفيف، واخيراً وصلا الى احدى ضواحي لندن، فسلك هالام طريقاً جانبياً، وتوقف امام مبنى كبير.

«هذه عيادة خاصة، ولدي مريض هنا اتعبني كثيراً، سأراه قليلاً، ولن اتأخر» ثم نزل من السيارة، ولم يقترح على انْ ترافقه، ولم تجرؤ بيب على الكلام، يا له من شهر عسل رومنطيقي، الزوج المشغول دائماً، والزوجة تنتظره في السيارة، ومضت نصف ساعة، وهالام لم يعد بعد، وتضايقت بيب كثيراً، واحست برغبة كبيرة لمعرفة ماذا يحصل هناك، وبسرعة نزلت من السيارة وبعد دقيقتين دخلت العيادة، وتفاجأت بكل هذه الفخامة والصالون كان اشبه بغابة من الشتول الطبيعية نهضت فتاة الاستقبال واقتربت منها، ماذا ستقول لها؟ فهي لا تعرف اسم المريض.

«صباح الخير، سيدتي، بماذا يمكنني ان اخدمك؟».

«انا... انا ابحث عن د. هالام فيلدينغ الجراح، ايمكنني انتظاره هنا؟».

«طبعاً! الا تريدين الذهاب الى قسمه؟».

لما لا؟ فعلى كل حال سيكون غاضبا، ورافقها احد الممرضين الى المصعد الكهربائي، وهناك فقدت بعض شجاعتها، انه لن يكون غاضباً فقط، بل سيكون مخيفاً، وليس من الجيد ان تعارضه، لقد عانت من مثل هذه التجربة سابقاً، ولكن فات اوان التراجع، فرغبتها كانت اقوى من خوفها.

وفي الطابق الأول، وجدت نفسها في ممر طويل، واخيراً لماذا التردد؟.

فهو لن يجرؤ على قول شيء امام الناس، فتشجعت ودخلت الى غرفة رئيسة الممرضات التي رحبت بها بابتسامة مشرقة.

«انا بانتظار د. فيلدينغ، وبما انني ممرضة ايضاً احببت ان اشاهد هذا القسم، اذا كان هذا لا يزعجك».

«لا ابداً تفضلي، وارتاحي قليلاً، فهو لن يتأخر».

جلست بيب على كنبه مريحة واعجبت كثيراً بهذه العيادة التي تختلف كثيراً عن المستشفيات العامة.

«هل انت صديقة للدكتور فيلدينغ؟».

ماذا ستجيبها؟ وتهيأت للأجابة، لكن دخول ممرضة اخرى انقذها من الكذب، فهي متأكدة ان هالام لا يحب ان يعلم احد بزواجه منها، وكانت قد مضت ساعة تقريباً، ولم يظهر هالام بعد، ولو بقيت في السيارة، لكانت ماتت

من البرد.

«في اية مستشفى كنت تعملين؟» سألتها رئيسة الممرضات، فأخبرتها بيب بدراستها التي لم تنهيها، وبوفاة والدتها، وعن نيتها بأتمام دراستها قريباً.

«هذا سيكون صعباً، فأكثر الفتيات لا يجدن مكاناً في مدارس التمريض».

وكانت بيب تعلم ذلك جيداً، لكنها ليست خائفة.

«هذه العيادة متخصصة بجراحات القلب، والدكتور فيلدينغ متخصص بعمليات البطن وهو اشهر الاطباء».

كانت بيب سعيدة جداً بسماع هذا الاطراء لزوجها، وفجأة شحب لونها، ونهضت لقد دخل هالام الى المكتب الصغير، وابتسم بتهذيب لرئيسة الممرضات وكلمها قليلاً بخصوص المريض، وكأنه لم ير بيب، واخيراً اشار لها بيده ان تتبعه، فاضطرت ان تركض في الممر الطويل لكي تلحق به، ولكنه لم يقل لها شيئاً، ولا في المصعد ولا في الصالة، ثم فتح لها باب السيارة، بحركة آلية، وكأنه يفكر باشياء أخرى، وهذا الصمت كان اسوأ بكثير من كلمات اللوم والاتهام، وعندما انطلق في سيارته، لم يعد بامكان بيب الصبر اكثر، فالتفتت نحوه وقالت له: «لا تخف، فأنا لم اقل لهذه الممرضة انني زوجتك».

«هذا افضل» وهز كتفيه «وماذا اخبرتها؟».

«لا شيء، تكلمنا فقط عن عمل الممرضات، وعن دراستهم» فابتسم لها، وركز اهتمامه على القيادة، فتنهدت براحة انه لا يريد نقاشاً في هذا الموضوع.

وفي الفندق كان هالام قد حجز جناحا كبيراً، وتنقلت بيب في ارجائه وهي منتشية كطفل صغير، وكانت الغرفتان كبيرتين وفيهما حمامان، وكان قرب الهاتف يوجد لائحة بمواعيد الطعام، ولشدة اعجابها بهذا الجناح، قررت بيب ان تتناول كل وجبات الطعام في سريرها، والشيء الوحيد الذي لم يكن بامكان هذا الفندق الفخم ان يقدمه لها هو الزوج المحب، الزوج الحقيقي، قد يكون هناك أمل ضئيل، ووعدت نفسها ان تمنح هالام كل ما لم تستطع زوجته الأولى ان تمنحه له، مع انها حتى الآن لا تعلم ما هو بحاجة اليه، ولكنها ستجده، فهي لديها اسمه، ومنزله وحمايته، وقريباً ستحصل على محبته، انها مستعدة لكل شيء في سبيل ذلك، وتذكرت فانيسا، وتساءلت ما هي طبيعة علاقة زوجها بها، وقررت ان تتغلب عليها.

وطلبت من هالام ان يتناولا عشاءهما في الخارج، وهي تعلم ان هذا يفتح له شهيته فلا يمكن لزوجها ان يكون ميت الاحاسيس، ورغم عدم حماسه لهذه الفكرة، اصرت بيب، فهذا شهر عسل، ورغم انه زواج لمجرد الضحك، وهي ترغب في ان يكون عيداً، فوافق هالام والآن يجب ان يكن شكلها يشرفه، فوقفت امام المرآة، لقد اصبحت سيدة بزواجها من الطبيب، واصبح بإمكانها ان تتزين كما تريد، فسرحت شعرها وتركته، منسدلاً على كتفيها، ثم زينت وجهها من جديد، وكان هالام قد اعطاها مبلغاً كبيراً من المال لكي تشتري ملابساً تليق بوضعها الاجتماعي الجديد! وهكذا اختارت ملابساً جديدة، واختارت لهذه

السهرة ثوباً ازرق ناسبها كثيراً، وبدت فيه سيدة انيقة جداً، وتأخرت امام المرآة وهي تتأمل نفسها بسعادة كبيرة، وبعد قليل دق هالام على الباب، فطلبت منه الدخول، ولكنها لاحظت انه مقطب الحاجبين.

«هل انتهيت اخيراً؟» قال لها ثم خرج ينتظرها في الصالون، فأسرعت وانضمت اليه، ورأته يقطع الغرفة ذهاباً وأياباً وهو في قمة التوتر، وعندما ابتسمت له، صرخ غاضباً: «لماذا كل هذا التصنع؟ ما معنى هذه التمثيلية؟ لقد اضعنا الكثير من الوقت».

فحاولت بيب ان تهدأ غضبه، ووضعت يدها على صدره.

«لا تغضب، هالام كنت اتزين لكي اجعلك فخوراً بي، ولا اريد سوى رؤيتك سعيداً».

«سعيداً؟ لا تحاولي اضحاكي، لن اكون سعيداً ابداً معك، ابداً! سأنتظرك في الاسفل» ثم خرج وصفق الباب وراءه كعادته، لن يكون سعيداً معها ابداً! ورغبت بالبكاء، كيف امكنها ان تظن بإمكانية تغييره؟ انه لا يحبها، ولن يحبها، ولن يكون حتى صديقاً لها.

ومن العشاء، لا تذكر شيئاً، الا انه تركها تختار طعامها، وكان كل ما اكلته له طعم الرماد، ولم يكونا قد تبادلا الكلام ولا النظرات، وكأنهما غريبان اجتمعا صدفة حول طاولة واحدة، فابتسمت بمرارة.

«انا سعيد برؤيتك تبتسمين» قال لها بصوت عذب، حنون تقريباً، فتساءلت بيب ماذا اصابه، قد يكون يشعر

www.elromancia.com

بالذنب لأنه يعاملها بعنف بمثل هذا اليوم، لم تصدق بيب اذنيها، لكنها متأكدة من شيء واحد، انها تحبه، وبدأت تندم على هذا الزواج.

ان زوجها غيور، وهي لا تستطيع ان تلفظ اسم جيف الا وتلاحظ انه ينتفض، وزوجها فاتن، واستطاع ان يخرج مع ميلاني ومع غيرها! لا، انه لا يحبها لدرجة ان يغار عليها.

- ١١ -

رفعت بيب نظرها نحوه، وابتسمت.

«هيا، بنا لقد حان وقت النوم» قال لها بجفاف، ثم نهض فوراً وساعدها بالنهوض.

نعم، حان الوقت لكي تنام وحدها في يوم زفافها.

«لقد كان يوماً متعباً وطويلاً، بيب حاولي ان ترتاحي قليلاً ونامي كما تنام الفتاة الصغيرة اللطيفة التي هي انت».

ولكنني زوجتك! اوه انا احبك، ولا اريد ان اكون لطيفة... وتركته لا يزال في المطعم واسرعت نحو المصعد، وهي لا ترغب سوى بالابتعاد قدر المستطاع عنه، وعن كلماته التي تجرحها، حتى انها لم تلتفت خلفها، لكنه لم يتبعها، لا بد انه ذهب الى بار الفندق ليقتل الوقت، وعندما وصلت الى جناحهما اخذت تقطع

www.elromancia.com

الصالون ذهاباً وإياباً، لماذا لم يصعد بعد؟ اينتظر الى ان تكون قد نامت؟ على كل حال ماذا ستطلب منه اكثر من ذلك؟ لقد نفذ وعده! وبيب تحمل اليوم اسمه، ولديها منزل خاص بها ووضع اجتماعي تحسد عليه، يا لهذه السخرية!.

وعندما وقفت امام المرآة، ادركت ان هالام محق، انها لا تزال صغيرة، يا الهي كم تريد ان تكبر، على الاقل لو ان عمرها خمسة وعشرون عاماً، وبعد ان استحمت، ارتدت ملابساً رقيقة، شفافة كانت قد اشترتها للمناسبة، وكانت قد كلفتها مبلغاً كبيراً من المال الذي قدمه لها هالام، وكان يجب عليها ان توفر المال الذي تقبضه من راتبها لكي تدفع تكاليف دراستها، دراستها! وانقبض قلبها وسالت دموعها لكن لا، لا يجب ان يراها هالام وهي تبكي، ولكنها تذكرت انه لا يراها لا وهي تبكي ولا هي تضحك، انه لا يهتم... ولا يحبها ولن يحبها ولا يريد منها ان تحاول اسعاده، وانقبض قلبها من جديد واحست بالألم الكبير، واجشهت بالبكاء واخذت ترتجف من شدة الحزن، ونامت وهي لا تزال مرتمية على المؤكيت، ولم تستيقظ الا على يد تهزها، فاصطدم رأسها بالارض، وكانت لا تزال بين النوم واليقظة، ودفعت الذي يهزها بقدمها، كانت تريد العودة الى النوم، لكنه اجبرها الى الوقوف على قدميها بعنف وهو لا يزال يهزها، انه هالام في قمة غضبه.

«توقف» صرخت بيب، وحاولت ان تتخلص منه، لكنه

كان اقوى منها.

«توقف ارجوك» قالت له بحدة، فهو لا يجب عليه ان يعاملها هكذا، وحاولت ان تضربه لكنها زادت من غضبه، هذا الرجل مجنون حقاً! وكان قد فقد كل سيطرة على نفسه، وفجأة تركها وهو يدفعها بعيداً عنه، فتعثرت ولكنها تمكنت من النهوض مرة ثانية، وللحظات طويلة ظلا واقفين يتأملان بعض بعوين متوهجة.

لماذا؟ نعم لماذا يعاملها هكذا، تساءلت وقد اخذ الغضب منها كل مأخذ، وفجأة اقترب منها وضمها الى صدره، فأحست بضربات قلبه وبأنفاسه المتسارعة وبحرارة جسده التي جعلت غضبها يتبدد، فتعلقت به اكثر، ورغبت به بكل كيانها.

«بيب، سامحيني، ولكن لماذا تحاولين دائماً اثارة غضبي؟».

«ولماذا تفقد انت اعصابك؟ انك انت الآن الذي اغضبتني» ثم سمعته يضحك، فأخذ قلبها يدق بسرعة.

«نحن للحقيقة لم نخلق لبعض» قال لها وابعدها عنه بلطف.

فاختفت ابتسامة بيب، انه يرميها من جديد، فقررت الا تستسلم، وعادت وعانقته من جديد.

«اذا كنت لا تريد ان تأتي الي، فأنا سآتي اليك» قالت له ضاحكة، وهي تعلم انها تلعب بالنار، وتتمنى ان يجعلها امرأته حقاً، فهذه اغلى امنياتها، وعندما قبلها بجنون، بادلته القبل، ونسيت كل الوجود، ولم تعد تفكر

سوى بحبها له، وبرغبتها في ان يمتلكها، ثم حملها كالريشة الخفيفة، ومددها على السرير وتمدد بقربها، وامطرها بالقبلات، فتساءلت ماذا سيحصل؟ ماذا ستكون ردة فعله امام عذريتها، هو رجل صاحب تجارب عديدة؟.

«لقد حذرتك، بيب لم يكن يجب عليك ان تلعبي بالنار» وكان صوته ضعيفاً، وانفاسه قصيرة، وقد فقد السيطرة على نفسه، ثم امسك رأسها وتناول شفتيها، وكادت بيب تفقد وعيها من شدة سعادتها.

لقد كذب عليها! انه يرغب بها، وهي تعرف الآن كيف تجعله سعيداً.

«هالام» همست بيب وهي في غاية النشوة، وفجأة نهض هالام مرعوباً.

«سامحيني على لحظة الضعف هذه، لا يحق لي ان...».

«الحق! ومن يحق له غيرك؟ لماذا تزوجتني اذا لم يكن بسبب... الا تريدني؟».

«لقد تزوجتك فقط من اجل صالحك، من اجل حمايتك» فنظرت اليه بدهشة واستغراب.

«هذا صحيح، فمنذ البداية وانا اشعر برغبة بالسهر عليك، منذ اليوم الأول الذي خرجت فيه تحت المطر».

«كنت قاسياً جداً».

«فتأملها قليلاً وضحكا معاً للمرة الأولى.

«نعم، كنت قاسياً، واتمنى ان تتعلقي بي، كما انا متعلق بك» كم هو عذبا هذا الكلام! كم اساءت فهمه.

«حلمت كثيراً بأن تكون لي ابنة صغيرة، واخيراً تحققت امنيتي، بفضلك انت يا عزيزتي» ثم نهض واتجه نحو الباب.

«نام جيداً، وستتكلم بكل هذا صباح الغد» ماذا تقول له؟ كيف تفهمه انها ليست صغيرة؟.

«لم يكن جيوفري ليترك زوجته تنام وحدها في ليلة الزفاف» صرخت بيأس، وفجأة ادركت انها اصابت الهدف، لأن هالام التفت نحوها بسرعة.

«جيوفري! متى ستكفين عن التفكير به؟ لا تكلميني عنه، وخاصة بهذه الطريقة».

فنهضت واقتربت منه بدلال.

«انه رجل، وهو ليس بحاجة لاعذار، كما تفعل انت بي، فتاة صغيرة! انا لست طفلة، وهو يعلم ذلك وحتى لو تجاهلت انت هذا».

وفجأة اصبح وجهه قاسياً كالحجارة، وتقدم نحوها وهو يحدق بها...

استيقظت بيب في الصباح الباكر وهي سعيدة، وكانت عارية وتشعر بالخفة.

«انا امرأته» تمتمت بسعادة وفرح.

لقد مارس الحب معها، ولكن ايحبها؟ وعادت للنوم من جديد.

«بيب!» ناداها صوت بارد ايقظها من احلامها، فخبأت رأسها تحت الشرشف لماذا يوقظها؟.

«بيب، انهضي» انه هالام! فجلست على سريرها، وهي

www.elromancia.com

تبتسم، انه زوجها! حبيبها، ولكن كان مرتدياً ملابسه.

«يجب ان اعتذر منك بيب».

ففتحت فمها لتعترض، لكنه اشار لها ان تسكت.

«لم اكن اريد ان يحصل ما حصل ليلة امس، وانت تحميلين جزءاً من هذه الغلطة، لم يكن يجب عليك ان توتري اعصابي بهذه المقارنة، مع جيوفري، من ناحيتي انا، كان بإمكاني السيطرة على نفسي، ولكني فقدت كل ارادتي لأنك انت جعلتني مجنوناً، وانا لست فخوراً بما حصل».

وكانت بيب تستمع بدهشة وخوف لصوت الجاف الحازم.

- ١٢ -

«سنعود الى المنزل فوراً بعد تناول الفطور. . . وهذا الذي حصل، لن يتكرر ابداً، ابداً، لا استطيع ان اقول لك كم انا آسف» وكان يبدو عليه الأسف الشديد، ولكن بيب لم تشفق عليه، كانت ترغب بضربه، بجعله يدفع ثمن ما قاله، لكنها لم تتمكن، انها متعبة وغير قادرة على مقاومة السعادة التي تهرب منها دائماً، فخبأت وجهها بالشرشف، لأنها لا تريد ان تمنحه فرصة رؤيتها تبكي، وسمعت صوت الباب يغلق، وظلت وحدها، لقد انتهت رحلة شهر العسل بسرعة، فأخذت حماماً سريعاً، وارتدت ملابسها، وجمعت اغراضها في حقيبتها، كل هذا بسبب غلطتها! لقد حلمت كثيراً وخدعت نفسها بهذا الحب المستحيل، كيف سيعيشان معاً والد وابنة بعد هذه الليلة؟ لكنها ليست نادمة،

www.elromancia.com

عندما نحب ونكون صادقين لا مكان للخجل، انه هو اللذي افسد كل شيء، لأنه لا يحبها، وعندما خرجت الى الصالون، لم تجده، لا بد انه نزل الى الكافيتريا.

ثم نزلت الدرج بخطى خفيفة وهي ترفع رأسها عالياً، انها الآن السيدة فيلدينغ، ولن تخشى احداً، لم يكن هالام وحده! وتلك الشقراء التي تجلس بقربه هي فانيسا بدون اي شك، ولكن الا يستطيع الابتعاد عنها حتى في رحلة العسل؟ وتذكرت ليلة الأمس، انها الآن زوجته، لقد انتهى الضحك!.

واتجهت نحوهما بخطى ثابتة، والابتسامة على وجهها، يجب ان تبدو زوجة سعيدة، ويجب ان تثبت لفانيسا انها ليست تعيسة ومهجورة.

نهض هالام وقدم لها كرسياً.

«بيب، كيف حالك؟ انا مسرورة برؤيتك» قالت لها فانيسا وهي تصطنع الابتسام.

فجلست بيب وتناولت لائحة الطعام.

«انا جائعة كثيراً» قالت بمرح، ولاحظت انهما لا شهية لهما على الطعام، فضحكت، وادركت انهما ايضاً لا شهية لهما على الضحك.

تفجأ هالام بهذا التغير في تصرفاتها، وظل للحظات يحدق بها مندهشاً، واخيراً نادى على الخادم، وكانت فانيسا تبدو ايضاً كالتمثال الحجري، من المؤكد انها كانت تتوقع رؤية بيب حزينة وبائسه.

«هل انت تنزلين ايضاً في نفس الفندق؟» سألتها بيب،

بلعت فانيسا ريقها قبل الاجابة.

«نعم، يا لها من صدفة!» ثم نظرت الى الطبيب بخجل، واضافت: «لم اكن اعلم... بالطبع... انا لم اكن اريد ازعاجكما... وخاصة في رحلة العسل».

ظلت بيب تبتسم بجهد كبير، ولاحظت ترددها وهي تلفظ آخر كلمة هل وعد هالام عشيقته ان زواجه من بيب صوري فقط؟ وهل كانت فانيسا تنتظر ان تقضي الصباح بين ذراعيه؟.

«لا حظ لك، فانيسا! لا اليوم ولا غداً، طالما انني استطيع ان امنعك».

وكان الاثنان يكتمان غيظهما، فوضعت بيب يدها على ذراع زوجها بدلال، وكادت فانيسا توقع فنجانها من يدها، وتناولت بيب فطورها بشهية، ولم يصدق هالام عينيه، وفانيسا في اشد حالات غضبها، وكانت تحاول الابتسام بجهد كبير، بينما بيب تختلس اليهما النظر، واصبح الجو مشحوناً، واية كلمة قادرة على اشعال الحرب، وبيب تشعر بأنها على مستوى المنافسة، لقد كبرت في هذه الليلة، ونهضوا جميعاً، واسرعت بيب وتأبطت ذراع زوجها، وقررت ان لا تدع هذه المدعية تلمس زوجها في حضورها، لم يقل هالام شيئاً، وعندما اصبحا في جناحهما، امسك يديها بين يديه، فأخذ قلب بيب يدق بسرعة، هل لاحظ الفرق اخيراً؟.

«اتعرفين مرض الرينود؟» سألها فجأة.

«ماذا؟».

www.elromancia.com

«مرض الرينود، فأنت لديك كل اعراضه، اليدين والاصابع باردة وزرقاء تميل الى اللون البنفسجي».

فسحبت بيب يديها من يديه، وهي تشعر بالخيبة، متى ستتوقف عن الاعتقاد بالمستحيل؟.

«من الغريب ان نلتقي بفانيسا هنا، بالفعل العالم صغير جداً».

«انها تقضي كل الاجازات في لندن، فهي تحب المسرح كثيراً».

اختفت ابتسامة بيب وشحب وجهها، فهي تعلم جيداً من يكون رفيق فانيسا في كل مرة تذهب فيها الى المسرح، لكنها تمالكت نفسها واضافت: «من المؤسف ان تعود بسرعة، كان بإمكاننا حضور مسرحية معها».

«انها لن تبق ايضاً... ولقد عرضت عليها ان ترافقنا بالعودة».

«ماذا؟» سألته غاضبة «لا، هالام، لا يمكنك ان تفعل شيئاً مماثلاً».

«ليس لديها وسيلة أخرى للعودة» قال لها بحدة «لقد اصيبت سيارتها بعطل، واقل ما يمكننا ان نعرض عليها المجيء معنا، اليس كذلك؟».

«يا لها من رحلة عسل، رحلة ثلاثة اشخاص!» قالت بمرارة.

«من اجل السماء بيب! تصرفي ولو لمرة واحدة بتعقل! تبدين وكأنك تغارين من فانيسا المسكينة».

«فانيسا المسكينة؟ ماذا تقول اذن عن بيب المسكينة

التي تشاركها في رحلة شهر العسل، وفي زوجها امرأة أخرى» تجاهل هالام هذه الملاحظة، وادار وجهه كي لا تلاحظ غضبه.

«فانيسا المسكينة محرجة جداً، ورفضت ان تعود معنا، لم تكن تريد ان تكون عبئاً ثقيلاً، ولكنني استطعت اقناعها...».

ثم تأملها قليلاً واضاف بحدة: «اريدك ان تكوني لطيفة معها، بيب فهي ووالدها اصدقاء منذ مدة طويلة، واذا لا اريد ان يهينهما احد، هل كلامي واضح؟» وكان صوته مهدداً فأشارت له انها فهمت فهي لا ترغب بالنقاش، ثم دخلت الى الحمام حيث يمكنها البكاء بهدوء...

«يبدو ان هذه المريضة تهمك جداً، بيب».

والتقت نظرات بيب الحزينة بنظرات زوجها، عن ماذا يريد ان يكلمها؟.

«آه، نعم؟» اجابته بلطف.

«تقريباً لديها نفس عوارض الرينود».

تذكرت بيب ذلك اليوم الذي اخبرها فيه انها لديها نفس العوارض، وكان قد مضى اسبوع، ولم تنسى بيب الليلة التي قضياها معاً في لندن، والساعات التي قضتها بين ذراعيه، وكانت ليلة كالحلم، كم تحبه! وحبها له يزداد يوماً بعد يوم، لكنه تقريباً لا يراها! وليس لديه سوى فانيسا كليفتون.

«عفواً، كنت تكلمني؟».

«سألتك ماذا تعرفين عن هذا المرض، اين كنان

www.elromancia.com

عقلك؟».

كان عقلها في لندن، لكنها لا تستطيع الاعتراف له بذلك، وتجنبت النظر اليه، وقد اصبحت في هذه الفترة عصبية لم تعد تتحمل مواجهته يومياً.

«مرض الرينود...» وحاولت ان تبحث في ذاكرتها لكنه لم يسمح لها بذلك.

«حسناً، انا انتظر!».

«الايدي باردة... طرف الاصابع احمر او ازرق...».

«وما هو العلاج؟».

شرعت بيب بالخيبة، انه ليس غاضباً! ولكن هدوء زوجها يخيفها.

«انا متأكدة انك لا تجرؤ على معاملة فانيسا بهذه الطريقة».

«بأية طريقة؟ فهي ليست ممرضة حسب ما اعرفه، يا ابنتي الصغيرة، يا لك من غبية!».

ولشدة غضبها تناولت اول شيء وقع تحت يدها! وكانت مزهرية صينية رفعتها ورمته بها على رأسه لكنها اخطأته لحسن حظها، لكن الوعاء تحطم على الحائط وهالام ابتسم.

«الا تحبين هذا الوعاء، بيب؟».

فرمت نفسها على الكرسي، كيف تتصرف مع هذا الرجل؟.

«اريدك ان تعملي يوماً في الاسبوع في العيادة، والآن، وبعد رحيل العمة نورا، لن يكون لديك عمل كثير».

الم يسمع بأوقات الفراغ؟ ارادت بيب ان تعترض لكنه لم يسمح لها.

«لا تقولي لي انك متعبة وضعيفة، فأن الطريقة التي رميت بها هذا الوعاء تدل على العكس، فأنا اعلم انها ثقيلة، وانت بالطبع بصحة جيدة لكي ترميها بهذا الشكل» ثم داعب شعرها وخرج، هذه الحركة كانت كمن يداعب قطة صغيرة، فشتمته بصوت منخفض.

لماذا؟ لماذا تزوجها؟ آه، بالطبع بسبب حماية سمعته ولكي يكون لديه احد في البيت مسؤول ليلاً ونهاراً، لا لا، نهاراً فقط، اما الليالي فهي من حق فانيسا فقط.

ايمكن لبيب ان تكون الابنة التي يفتقدها؟ لا، انه رجل متوحد، ويعيش بعذاب، ولكن بعد الذي حصل بينهما لا يمكنه ان يعتبر نفسه كالوالد لها، وعادت تتابع عملها وتطبع له الملاحظات، ولكن اين الطاقة التي تدفعها للعمل؟ ان تعبها جسدي ونفسي ايضاً، فهي غير قادرة على التركيز وعلى ارضاء هذا المتعطش للعمل.

وخطرت فكرة فجأة في رأسها، لقد نجحت مرة ثانية في اغرائه، لماذا لا تحاول من جديد؟ هي ستجرؤ؟ نعم لما لا؟ ستجرب هذه الليلة قبل ان تخونها شجاعتها، فابتسمت وعادت الى عملها بنشاط، وحاولت ان لا يلاحظ هالام ما تفكر به قبل المساء ولكنه كان قد اخبرها في الصباح انه سيتأخر في العودة مساء، وهكذا يكون لديها متسع من الوقت لتحضير هذا الفخ له، وكانت الخادمة قد اعدت العشاء قبل ذهابها، فليس امام بيب الا ان تسخنه ليكون

جاهزاً عند عودة هالام، وقضت ساعة في الاستحمام، ووضعت العطر كأنها تستعد لأول موعد غرام لها، ولكي تغري زوجها ارتدت ثوباً لم هالام قد رآه عليها حتى الآن، وكان كريماً معها هذا الشهر، فاستطاعت ان توفر ثمن هذا الثوب، وكان شفافاً ويظهر جمال عنقها وصدرها وكتفيها، فاذا لم يكن هذا الثوب قادراً على اثارة رغبته بها، فلن ينجح اي شيء آخر، ثم سرحت شعرها، وقفت امام المرآة واعجبت كثيراً بنتيجة جهودها، ثم وضعت الاقراط التي حصلت عليها كهدية من هالام بمناسبة الزواج، وكانت ترغب بشراء خاتم جديد، لكنها فضلت ان توفر المال الذي ستحتاجه لأتمام دراستها، ولم يكن هالام قد قدم لها خاتم الزواج، واكتفى بخاتم الخطوبة، وباهتمام هالام، ولم تغب هذه الملاحظة عن بال فانيسا التي تحظى بحب وباهتمام هالام، وكانت امامه تظهر كل لطف ومحبة لبيب، ولكن ما ان يدير ظهره حتى تظهر غيرتها، وليست غيره من ثروة هالام، لأن عائلتها ثرية ايضاً، ولكنها غيرة من زواجه من بيب، فهالام طبيب مشهور، وهو يدرس ايضاً في الجامعة، وكتبه ترجمت الى عدة لغات، وبالاضافة لعمل المستشفى والعيادة، كمان الدكتور، يشرف على مجموعة من الباحثين ويحضر كتاباً جديداً عن الجراحة، وفانيسا لن تغفر لبيب زواجها هذا.

بدأت بيب تقلق، لقد اصبحت الساعة الثامنة، وهالام لم يعد بعد، ماذا تفعل؟ اتشرب كأساً يهدأ اعصابها؟ وهذا ما فعلته، فأسرعت الى البوفية في غرفة الطعام، وسكبت

لنفسها كأساً من الكونياك، انه حقاً ما تحتاج اليه، وشربته بسرعة دفعة واحدة، وما هي الا لحظات حتى ندمت، فهي ليست معتادة على الكحول، واخذت تسعل بشدة، انه شراب حاد، ووقعت على الارض، وشعرت بالنار تشتعل في معدتها، وبعد قليل نهضت وهي تترنح، ورأسها يدور ويدور، يا لها من حمقاء، لقد شربت ومعدتها خاوية، فأسرعت الى الطاولة وتناولت قطعة خبز وأكلتها، وشعرت بالحرارة في كل جسمها، فعادت وسكبت كأساً آخر شربته هذه المرة على دفعات، ومر الوقت، وتساءلت ماذا ستكون ردة فعل هالام عندما سيراها جميلة؟ وفجأة عاد اليها القلق، وجلست على الموكيت، هل تعرض هالام لحادث؟ هل ستصبح ارملة في هذه السن المبكرة؟ كان يجب عليه ان يتصل بها، اين يمكن ان يكون؟ بالطبع مع فانيسا! وشعرت بالغيرة تمزق قلبها، واسرعت نحو الهاتف، وقضت ربع ساعة وهي تبحث عن الرقم المطلوب، وعادت الى غرفة الطعام، وكانت دافئة، فجلست على الارض قرب النار ونامت ورأسها بين يديها.

وعلى هذه الحال وجدها هالام عند عودته، وكانت تنام والابتسامة تعلو وجهها، وسمعت اصواتاً وهي نائمة، وكان احدها صوتاً تعرفه انه صوت هالام، واخيراً عاد، وسيراها جميلة، واحست بأنه يرفعها عن الارض، ففتحت عينيها وفجأة سمعت صوتاً فوق رأسها.

«انها ثملة، هالام انها ثملة! يا صديقي المسكين».

انها فانيسا، يا للفظاعة! لقد دعاها هالام لتناول العشاء

فرمت بيب نفسها على صدر زوجها.

«بيب، كلميني» توسل اليها.

«انا متعبة» وعادت ووقعت على الارض من جديد.

«دعني اساعدك، هالام» قالت له فانيسا والفرح يظهر في صوتها لرؤية بيب على هذه الحالة.

ارادت بيب الاعتراض، لكن صوتها لم يخرج من حنجرتها، فهزت رأسها بعنف، وندمت بسرعة، لقد بدأ رأسها يؤلمها بشدة، واحست بأنه يرفعها من جديد ويجبرها الى السير، ولم تجرؤ على فتح عينيها، خوفاً من رؤية الغضب في عيونه، وبعد قليل وجدت نفسها في السرير، واخيراً يمكنها النوم، لقد اغلق الباب وهي الآن وحيدة، وبعيدة عن زوجها الذي لم يتردد في دعوة عشيقته الى المنزل، وبعيدة عن تلك الفاسقة التي قبلت دعوته.

لا، بيب لم تكن وحدها، هناك من يحاول ان يخلعها ملابسها، انها امرأة! عرفت من صوتها الذي يشتمها، فانيسا! يا الهي، لقد تركها الجبان بين يدي عدوتها، وكانت فانيسا متوترة فمزقت لها ثوبها.

«اللعنة! لقد كسرت احد اظافري» قالت فانيسا بحدة، وهي تدير ظهر بيب «ايتها الغبية، لقد سلبتي هالام!» اعتقدت بيب انها سمعت صوت فانيسا يرتجف، ففتحت عينها ببطء ووجدت ان فانيسا تبكي، وقد سال الماكياج على وجهها، وهذا المنظر لم يسلي بيب لأنها كانت ترغب فقط بالنوم، لكن فانيسا انحنت فوقها من جديد، وعيونها تشع بالغضب.

«لقد تزوجك انت، لكنه يحبني انا، لقد كانت السهرة رائعة، اتسمعينني؟ رائعة! ثم تذكرك انت، وكان يجب عليه ان يعود، ان يعود ليكون بجانبك» احسب بيب بأنها تعيش في دوامة.

«نعم، انه يعود دائماً».

«انا اكرهك، كان يجب ان يتزوجني انا، كنت عشيقته منذ مدة طويلة، وكان يحبني، ولا يزال يحبني، ولقد قال لي ذلك، ولكنك انت زوجته الآن!» ثم سحبت الشرشف الذي تنام عليه بيب بعنف، ووقعت بيب على الارض، وسمعت الباب يغلق خلف فانيسا، وأخيراً اصبحت وحدها، لكنها لم تستطع النهوض، فغفت وهي ممددة على الارض والابتسامة تعلو شفتيها، الاخرى هي ايضاً تتعذب واخيراً انتقمت منها، ولكنها استيقظت على يد تهزها، يا الهي، الا يريد احد ان يتركها تنام؟.

«بيب، انهضي، اتسمعينني؟ لا يمكنك البقاء هكذا، يجب ان تنهضي».

«انه زوجها المتعجرف، الذي يهوى الشقراوات اللواتي يكثرن من وضع الماكياج، هل جاء ليشتكي لأنها اساءت الى فانيسا؟ حاولت بيب النهوض، ولكنها لم تستطع لكن هالام ساعدها، واستندت الى الحائط، لقد تمزق ثوبها الجديد الجميل، انها منافستها اللعينة...

ورأسها يؤلمها كثيراً، لا بد ان هالام اقتنع انه اخطأ بزواجه من مدمنة على الكحول، وسالت دمعة من عينها، فأسرع هالام ومسحها بيده.

«اوه، هالام انا آسفة كنت اريدك ان تر ثوبي الجديد».

فابتسم هالام وتناول ما بقي من الثوب الانيق.

«هذا؟ انه جميل جداً، بيب ولونه يناسبك جداً».

«انا مسرورة لأنه اعجبك، هل الوقت متأخر؟».

«نعم، لقد انتصف الليل، يجب ان تنامي، اعتقدت ان فانيسا وضعتك في السرير».

«هذه الامرأة تكرهني، لقد مزقت ثوبي» ولكن ماذا تنتظر منه؟ اليست هذه الامرأة عشيقته التي يحبها؟.

«نعم، حتى انها نزعت السحاب».

«من نزعه؟» سألها هالام بدهشة.

«فانيسا، انها تكرهني، انا متأكدة انها تحبك وتغار مني».

«اذن فانيسا هي التي مزقت ثوبك؟».

«نعم، انها تحقد علي» وما ان اتمت كلامها حتى صرخت من الألم، لقد امسكها هالام بشعرها ونظر اليها بغضب شديد.

«انا اعرف انك تنزعجين من رؤيتها، ولكن لا ضرورة لهذا الكذب السخيف، انها فتاة جيدة، وهي افضل صديقة لي منذ عدة سنوات، وهي لا تسعى الا لصداقتك، وتحاول التقرب منك، اهكذا تعاملينها؟ باختراع اكاذيب عنها؟ الست خجلة؟ كيف تجرؤين؟».

ثم تركها ودفعها عنه، فاصطدمت بالحائط، وارتجت اذناها، واتكأت على حافة السرير، وخبأت رأسها بين يديها لكي لا تسمع المزيد عن افضل صديقة له، كيف يمكن

لرجل ذكي مثل هالام ان يكون اعمى لهذه الدرجة؟ ثم سمعته يغلق الباب وراءه بعنف، فتمددت على السرير وهي تشعر باليأس، نعم هالام اعمى، لقد اعماه الحب، حبه لهذه الامرأة التي تسخر منها، فهو يحب فانيسا، وفانيسا تحبه، ولا مكان هنا لبيب ويستون.

رافقت رئيسة الممرضات بيب في جولة على المكان، لقد وفى هالام بوعده، واخذت بيب تذهب يوماً احداً في الاسبوع الى العيادة، حيث تمضي اثنتي عشرة ساعة في الهدوء بعيدة عن هذين المخادعين، هالام وفانيسا، ويوم واحد في الاسبوع تشعر بيب بأهميتها، وهذا هو المهم ولم يكن هالام بحاجة اليها، وهذا ما يوضحه دفاعه القوي عن شرف عشيقته.

رغم همها، حاولت بيب ان تتقبل روتين عملها اليومي، وتعمل يوماً واحداً في الاسبوع في العيادة، وباقي الوقت تقسمه بين عيادة هالام الخاصة ثلاثة ايام بعد الظهر، وبين اعمال السكريتريا اربعة ايام قبل الظهر، ويبقى لديها عطلة نهاية الاسبوع ويوم الاربعاء بعد الظهر.

وأقامت اليزون ابنة اخت هالام في شقة بيب القديمة، وكانت على وشك الزواج وتريد تغير ديكور الشقة، وكانت جميلة ولطيفة واصبحت هي وبيب صديقتين بسرعة، وكانت نهاية الاسبوع وسواساً يخيف بيب، فاليزون تخرج مع خطيبها، بينما تبقى بيب وحدها تتساءل اين زوجها وماذا يفعل، وكان هالام اذا بقي في المنزل، يقضي معظم وقته في مكتبه، ولا تجرؤ بيب على الدخول اليه لأنها

www.elromancia.com

كانت تشعر كل مرة انه ينزعج من وجودها، وناداها مرة الآنسة ويستون، وكأنه نسي انها زوجته، وكان مهذباً معها كما يكون مهذباً مع اية سكرتيرة اخرى.

وفي ايام الاثنين كان يوصلها الى العيادة! وتعود هي وحدها في الباص، وكان المنزل كبيراً جداً، ومع ذلك تشعر بأنها ستختنق وحدها في الامسيات الطويلة.

وفي يوم الاثنين هذا، كان الطقس بارداً لكنه افضل من بقية ايام تشرين الأول.

«ستجدين اليوم في القسم اثنين من مرضاي» قال لها مبتسماً.

«هل اعرفهم؟».

«نعم، انها السيدة واتز اللطيفة وهي تعاني من مشاكل في المثانه، وسيتم تحديدها بعد التحاليل».

وكانت بيب تحب السيدة واتز، وتحترمها كثيراً، فقررت ان تزورها.

وكل يوم اثنين، كان يتكرر نفس الشيء، ما ان تعبر بيب باب العيادة حتى يتجاهل هالام وجودها كالعادة، فهنا هي ليست سوى ممرضة متدربة، وفقط رئيسة الممرضات هي التي تعلم بالصلة بين الجراح وبيب ويستون وعندما دخلت الى غرفة السيدة اتز، وجدتها تبكي ويبدو عليها القلق.

«انا سعيدة برؤيتك!» فضمتها بيب الى صدرها بحنان وعطف.

«لا داعي للبكاء وللقلق، فأنت ستتحسنين هنا، ونحن

سنهتم بك جيداً، الا تعجبك غرفتك؟ فإمكاننا احضار تلفزيون الى الغرفة، اذا كنت ترغبين.

«لم اكن اجرؤ على طلب ذلك».

«كان يكفي ان تطلبي فقط، سأهتم انا بك».

قد يبدو لك انني سخيفة، ولكنني لست معتادة على كل هذه الفخامة، انظري الى قميص نومي! انا اخجل من ارتدائه هنا».

«لماذا لا تطلبي من ابنتك ان تشتري لك واحداً جديداً غيره؟».

«مستحيل، انها ام لثلاثة اطفال وراتبها لا يكفيها، ولحسن الحظ لدي تأمين، والا لما كنت استطيع ان ادفع نفقات علاجي».

ابتسمت بيب، انها مثل هذه السيدة، لا تملك المال الكثير، وتزعجها هذه الفخامة كلها، ولكنها ستعتاد بسرعة، فمن السهل الاعتياد على الثراء، وكثيراً ما تساءلت بيب كيف كانت تعيش براتب متواضع، وهي الآن تساعد اختها ميلاني وتشتري كل ما تحتاج اليه وتوفر ايضاً.

خرجت بيب من غرفة السيدة واتز، وتابعت عملها الذي تحبه وهي تشعر بهذه العيادة انها تحقق شيئاً مهماً.

ولم يعد بإمكانها انتظار سنة لكي تعود لمتابعة دراستها، ولكن السيدة فاريل اخذت تقاعدها، وهالام الآن بأشد الحاجة لها، وبهذه الفترة هالام مشغول جداً، ويكاد يقتل نفسه من شدة التعب، والمسكينة بيب، منذ تلك السهرة التي حاولت فيها اغرائه، وهما يتباعدان، اكثر وأكثر، لم

يكن يكلمها الا اذا اقتضى العمل ذلك، واحست الفتاة بالوحدة القاتلة، وقررت اخيراً ان تستعلم عن مدارس التمريض في المنطقة، وتلقت ردين على رسائلها، لكنها لم تجرؤ على الكلام بهذا الموضوع مع هالام، خاصة وان مدرستي التمريض بعيدتان عن المنزل، وهي بحاجة لسيارة، وانتظرت الى ان تجده بمزاج جيد لكي تكلمه عن دورس تعلم القيادة، وعندما كلمته رفض بشدة.

«ولكن هذا لن يكلفك شيئاً، سأدفع من مالي الخاص».

«لا، هذا خطير جداً فأنت غير قادرة على قيادة سيارة».

يا الهي! متى سيعتبرها امرأة؟ امرأته؟.

ومر الوقت، وتابعت بيب زياراتها الاسبوعية للعيادة، واهتمت بالسيدة واتز كثيراً، وعندما غادرت السيدة واتز المستشفى وعدتها بيب بأن تزورها ذات يوم، وكانت قد اصبحت تعتبرها كالوالدة لها، ودخلت سيدة اخرى الى العيادة وكانت على عكس السيدة واتز، كانت تشتكي وكانت ايضاً تعاني من التهاب في المثانه، وسيجرى لها هالام العملية بنفسه، ومع اقتراب موعد العملية، بدأت السيدة فانيل تفقد شجاعتها، وكانت بيب ترغب في رؤية زوجها وهو يجري احدى العمليات، فوجودها مع السيدة فانيل يشجعها كثيراً، فطلبت بيب من رئيسة الممرضات ان تسمح لها بدخول غرفة العمليات.

«لكن الدكتور فيلدينغ لا يحب ان يراقبه احد في غرفة العمليات، وهو يقول دائماً ان هذا ليس مشهداً للتسلية،

وان الغرباء قد يخلقون مشاكل» اجابتها رئيسة الممرضات، ولكنها عندما لاحظت شحوب وجه بيب اضافت مبتسمة: «لكنني متأكدة ان الامر معك سيكون استثنائياً، سأسأله» ولكن بيب كانت تفضل ان لا يعلم هالام، فهي واثقة من انه سيرفض وفي يوم الاثنين، جاءها الرد وفرحت كثيراً.

«الم يقل شيئاً؟».

«صه! انه لا يعمل شيئاً، فأنا لم اسأله، وفكرت بأن أضعك فوق غرفة العمليات، حيث يجلس هناك بعض طلاب الطب، وبعض الزائرين المهمين، ومن هناك يمكنك ان تري كل شيء يجري في الاسفل ودون ان تزعجي احداً».

«هذا لطيف جداً، ولكن الا يمكنه ان يلاحظني؟».

«لقد دبرت كل شيء، وفي يوم العملية سيكون هناك مجموعة من الجراحين الاميركيين في نفس المكان معك، ولا يعرفك احد، والدكتور هالام لن يعرف شيئاً، ولن يلاحظ شيئاً، خاصة وان مزاجه متعكر جداً هذه الايام، ولا ضرورة لزيادة توتره» شكرت بيب زميلتها واسرعت الى السيدة فانيل وطمأنتها انها ستكون موجودة معها اثناء العملية، وجعلتها تقسم على الاحتفاظ بهذا السر.

وفي صباح الثلاثاء، صعدت بيب الى المكان المحدد وقلبها يدق بسرعة، واخيراً سترى زوجها وهو يجري احد العمليات! وكانت قد خرجت من المنزل بشكل سري، وعندما وصلت كان الاميركيون قد سبقوها، والتفت الجميع عندما رأوها تدخل وتزاحم الجميع على تقديم مقاعدهم

www.elromancia.com

لها وكل واحد منهم يريدها ان تجلس بقربه.

وتفاجأت بيب بكل هذا الاعجاب فابتسمت بتهذيب، وجلست بينهم، ثم القت نظرة الى الاسفل ومن خلال الزجاج احست بأنها قريبة جداً من الفريق الطبي، فتراجعت بخوف، ولكنها عادت واطمأنت عندما تذكرت ان رئيسة الممرضات اخبرتها بأن هالام لن يتمكن من رؤيتها، لأن قوة نور المصابيح العليا تمنعه من تركيز نظره الى فوق، كما وان هالام يركز جيداً على عمله ولا يهتم بأي شيء آخر.

- ١٣ -

وتعرفت على زوجها بسرعة، وهذا سهل، لأنه اطول من الجميع، وكان جانبه طبيب البنج والطبيب المساعد، وممرضة كبيرة وكان بالنسبة لها هالام هو نجم هذه العملية، *لدرجة انها نسيت مريضتها السيدة فانيل، والتي لم يكن يظهر شيء منها، انها عبارة عن شبح مغطى بالبياض، انها سيدة مريضة، وزوجها هالام هو سينقذ حياتها، واخذ قلبها يدق بفخر ومحبة، وبدأ هالام يشرح حالة المريضة وماذا سيفعله، وبعد قليل ساد الصمت وبدأ هالام بعمله.

فاغمضت بيب عينيها للحظة، وهي تفكر بأن هالام هنا، تحتها مباشرة، ثم فتحت عينيها واخذت تراقب حركات يديه، ونسيت مرور الوقت، وهي متجمدة مكانها

www.elromancia.com

لا تجروء على التنفس، وكان الآخرون يتأملون هالام ويسجلون ملاحظاتهم... واخيراً تنهد هالام وتناول الابرة والخيط ليخيط الجرح، وفي الاعلى استراح الجميع وتمددوا الى الخلف، وكادت بيب تصفق، انه هالام زوجها الذي ينجح! وفجأة جحظت عيونها، فطبيب البنج يقوم بحركات بيديه ويشير الى الممرضة، فعاد الجميع الى اماكنهم، واغمضت بيب عينيها ولم تعد تجروء على النظر، واخيراً فتحت عينيها والتفتت نحو الاطباء الاميركين ا لذين يراقبون ما يجري في الاسفل بكل انتباه ودون اية حركة، وخطرت ببالها فكرة فجأة، اذا ماتت المريضة، سيتحمل هالام كل المسؤولية، وهذه الفكرة جعلتها تشهد نشاطاً كبيراً، ولم يعد بإمكانها الانتظار اكثر، وبدا عليها القلق والخوف، ونظرت باستفهام الى الشاب الذي يجلس بقربها، فرفع اصبعه مشيراً بالنصر، اذن لقد انقذت السيدة فانيل، ومر كل شيء بسرعة، ونقلت السيدة فانيل الى غرفة الانعاش، ومن خلال الزجاج، لاحظت بيب انبساط وجوه الجميع، وكان كل ما يهمها هو انها عرفت ان هالام حبيبها انقذ حياة المريضة، وعندما اطفأت المصابيح، رفع هالام رأسها الى الاعلى، وارتعشت بيب من الخوف، هل عرفها؟ وبهذا الوقت اقترب منها الشاب الاميركي ووضع يده خلف كتفيها.

«هل هذه المريضة هي قريبتك؟ انك شاحبة جداً».

فنظرت بيب الى الاسفل بسرعة، وتأكدت ان هالام لم يرها، ثم تخلصت من يد الشاب ونهضت غادرت المكان

والشاب يتبعها، يا الهي! كيف ستتخلص منه؟ يبدو انه لا يريد الابتعاد عنها، وكان قد بدأ يروي لها قصة حياته، انه حياته لا تهمها، وكل ما يهمها ان تتخلص منه قبل ان يفاجأها زوجها، وفجأة اجتاحتها موجة من البكاء واخذ الجميع يراقبونها، ولم تتمكن من تمالك دموعها، فناولها بيل منديله، وكانت هذه الحركة البسيطة ابلغ من اي كلام.

«انا آسفة، لم استطع تمالك نفسي».

«هذا امر عادي، ومفيد احياناً للاعصاب».

«ساعود الى عملي، شكراً لك».

فتركها الشاب وانضم الى رفاقه، ووقفت بيب مكانها لا تدري اتعود الى عملها ام تعود الى المنزل، ولكن بيل عاد وهو يلهث.

«لقد استأذنت من رفاقي، وسأعود اليهم بعد عشرة دقائق والآن سأرافقك، لا اعتقد انك بحالة جيدة».

حاولت بيب الاعتراض، لكن الشاب كان مصراً، وامسك يدها.

«حسناً، ارشديني الى الطريق».

فأشارت له نحو المصاعد، وبعد لحظات كانت تدخل الى مكتب رئيسة الممرضات، وكانت دهشة هذه الاخيرة كبيرة، لأن بيل كان يلعب دوره جدياً ويمسك بيب بين يديه، ولم يتركها الا عندما اطمأن عليها مع رئيسة الممرضات، وبعد مغادرته الغرفة، تركت نفسها على الكنبة، وهي تشعر بالانهاك.

«اوف! لم استطيع التخلص منه، شعرت بتوعك بسيط»

فطمأنتها الممرضة، عندئذ توقفت بيب عن البكاء، ماذا سيقول هالام؟.

«بماذا احسست؟» سألتها الممرضة، وهي تجس نبضها.

«احسست بشبه الاغماء... وخفت كثيراً على السيدة فانيل، كيف حالها الآن؟ والمسكين هالام؟ عندما رحلت، كان جالساً على زاوية الطاولة، ويبدو عليه التعب الشديد» وعادت للبكاء، فضمتها الممرضة الى صدرها.

«لا يجب ان تتوري هكذا، سيدة فيلدينغ، فالمريضة بحالة جيدة، وستشفى تماماً، اما الدكتور، الا تلاحظين انه من الطبيعي ان يكون متعباً؟ هذه مهنة صعبة ومتعبة، حتى الرجال الاشداء بحاجة ايضاً للراحة».

تمنت بيب ان تصدق ذلك، ولكنها فضلت رؤية هالام، وان تسمع هذا الكلام من فمه شخصياً، واستغلت غياب الممرضة قليلاً وهربت، يجب ان تعود الى المنزل قبل هالام، وعندما نزلت من سيارة التاكسي، احست بصداع حاد، وكان المنزل فارغاً، فقررت ان تنام قليلاً.

ومع حلول الظلام استيقظت، وتفاجأت بزوجها يجلس بقرب سريرها، ماذا يفعل هنا؟ فجلست على السرير.

«هل انت مريض؟» سألته بقلق.

«لا» اجابها مبتسماً «انا متعب فقط، لقد كان يوماً شاقاً، وانت؟ لقد اخبرتني الممرضة انك لم تكوني على ما يرام».

«ولكن لا! انا بخير، حقاً انه انفعال فقط، كدت افقد

وعي، ولكني الآن بألف خير».

«لقد اخبرتني ايضاً انك تقيأت كثيراً».

«فتعجبت بيب من الحنان الذي في صوته، هذا غريب حقاً، وكل يوم يصبح من الصعب عليها اكثر معرفة ما يجول برأسه.

«ذلك لأنني كنت خائفة، واعتقدت انك قتلت السيدة فانيل».

فنهض هالام فجأة، فخافت ان يضربها وتراجعت قليلاً ورفعت يدها لتحمي وجهها.

«ماذا اعتقدت؟».

«اقصد... اعتقدت... السيدة فانيل ماتت، و...».

وبدأ هالام يروح ويجيء في الغرفة، يا الهي! ماذا ستقول؟ لماذا لم تسكت؟.

«اذن، انت اعتقدت ان المريضة ماتت، وانني سأتحمل كامل المسؤولية، اليس كذلك؟ اهذا ما يحاول عقلك الصغير ان يفهمني اياه؟».

لم تجرؤ بيب على الاجابة، ولكنها كانت تفكر بمصلحته، فقط، وعندما حاولت الكلام، قاطعها بحزم.

«لقد تمت العملية بأيدي طبيب جدير، وللحقيقة حصل معنا حادث بسيط، لكن الامور عادت بسرعة الى طبيعتها».

«خفت كثيراً... خفت ان يتهموك بشيء ليس مسؤولاً عنه».

ثم ادارت رأسها، ولم تعد تستطع رؤية نظرة الحنان في

عينيه، فانحنى وقرك انفها بلطف.

«اذن، انت لم تكوني تريدين ان يلومني احد هذا لطيف جداً».

فسرت بيب كثيراً، واخيراً ادرك هالام بعضاً من احاسيسها!.

«لقد اصرت الممرضة كثيراً على سوء حالتك وعلى التقيوء في الصباح» وادركت بيب انه يحاول ان يقول لها شيئاً، ولكنها لم تفهم ماذا يعني.

«وما دخل التقيوء في الصباح؟».

فابتسم هالام، وكأنه لا يصدق براءتها وسذاجتها.

«التقيوء في الصباح، بيب... لقد سألتني الممرضة اذا اكان هناك خبر سعيد ازفه اليها» ولم يبعد نظراته عن وجه بيب، فأدركت بيب فوراً انه يعتقد انها حامل، وهل هي غبية لتعتقد ان صحتها تهمه؟ لا، انه فقط منزعج من فكرة الحمل الذي كان نتيجة لغلطته، وهي لا ترغب بانجاب طفل من هذا الرجل الغريب.

«قل للأنسة كارتز انه لا يوجد طفل وانه لن يكون هناك طفل في المستقبل».

قالت له بجفاف ولاحظت شحوب وجه زوجها، وندمت بسرعة، فهي لا تحب اغضابه، لكنها ظلت على موقفها، فبأي حق يستجوبها؟ لقد مارس الحب معها، وجعل منها امرأة، امرأته، ولكنه منذ ذلك اليوم وهو لا يفوت فرصة يلقي اللوم عليها.

لكن هالام تمالك نفسه، واستخف بالموضوع.

«لا اعتقد انني قادر على قول ذلك لها» ثم ضحك واضاف: «ضعي نفسك مكاني، الوضع محرج، فرجل في مثل سني ينجب طفلاً من فتاة صغيرة مثلك! سأكون بالطبع اضحوكة للجميع».

«لماذا؟ السنا متزوجين؟».

«نعم، ولكن كل شيء سينتهي، لا تنتظريني على العشاء، لدي موعد هذا المساء» ثم خرج وتركها فريسة للغضب، لا بد انه ذاهب لكي يطمئن فانيسا ويخبرها ان لا وجود لأي حمل هذه الفاسقة تعرف كيف تواسيه.

فتنهدت وقالت لنفسها، واذا كانت حقاً تنتظر طفلاً، طفلاً من هالام الذي تحبه كثيراً، ولكن زوجها ليس بحاجة لحبها، ولكنه بالتأكيد يرغب بطفل يكون ابنه، فوضعت يديها على بطنها، وبكت بحرقة، وتذكرت تلك الليلة التي اصبحت فيها امرأة، وتذكرت صباح اليوم التالي، والفطور الذي شاركتهما به عشيقة زوجها، وعودتها معهما في نفس السيارة، وادركت انها اذا انجبت طفل هالام، فلن تكون هي والدته، بل فانيسا هي التي ستكون والدته، لأن هالام يحبها كثيراً وسيتخلى عن بيب.

وخلال هذا الاسبوع، وضعت عدة خطط ومشاريع، يجب ان تكسب زوجها وان تكون زوجته فعلاً، ومع مرور الوقت استسلمت، فهي ليست بمستوى هذا الرجل، انه لا يريدها، ولن تنجح اية خطة معه.

وبينما كانت ترتب الزهور في الصالون، رن جرس الباب، انه جيوفري يحمل حقيبته والابتسامة تعلو وجهه.

www.elromancia.com

«ولكن هذه بيب الصغيرة!» قال بدهشة، وقبل ان تجيبه قبلها قبلة محبة اخوية.

«اوه، جيف، انا سعيدة برؤيتك» ورغبت بالبكاء وبالضحك بنفس الوقت، واخيراً وجدت لها حليفاً.

«لم اكن اعلم بانك ستأتي، فهالام لم يخبرني».

ثم دخلا الى الصالون وهما يثرثران، وكان هالام في مكتبه، فدقت بيب على باب مكتبه، ثم فتحت قبل ان تسمع الجواب.

«انظر من هنا».

ثم تبعها جيف الى الغرفة وابتسما معاً، فتفاجأ هالام، ونهض بسرعة وقلب مجموعة الكتب الى امامه.

فتبادل جيف وبيب نظرة ضاحكة، وكان هالام قد تهيأ للابتسام لكنه فجأة عاد لجديته ولقسوته، فأمامه شابة وشاب يبدوان متفقين وهذا بسببه هو.

تركتهما بيب، وذهبت لأعداد القهوة، واحست ببعض الشجاعة، وجيف يفهمها، وسيلاحظ مشاكلها، ويساعدها على حلها، هو وحده يفهم اخاه جيداً، وعادت بيب وهي تحمل صينية القهوة وصحناً من الكاتوه، وقبل ان تطرق على باب المكتب سمعت صوت هالام الجاف: «لقد ارتكبت غلطة كبيرة، جيوفري، انه كابوس! انا لا استطيع رؤية طرف النفق».

فوقفت بيب مذهولة، وحاولت استراق السمع اكثر، فهذا شيء يخص سعادتها، انه يتكلم عنها، هي متأكدة من ذلك، وتريد معرفة المزيد، واذا عرفت حقيقة مشاعره،

فقد تتمكن من مساعدته واقناعه.

«ولكن لا، ايها العجوز، هذه ليست حماقة، بل على العكس» قال له جيف بحنان، لكن هالام اجابه بنفس الحدة والانزعاج.

«ليتني لم اتعرف عليها».

فأسرعت بيب وعادت الى المطبخ وهي تشعر بأنها ستختنق، وبعد لحظات عادت الى المكتب وهي تحدث ضجة بالفناجين، وما ان دخلت حتى نهض جيوفري وتناول الصينية من يدها، وكان هالام يقف امام المدفأة وكأنه لم يلاحظ وجودها.

«آه، ما هذه الرائحة الطيبة بيب! انك تشعرينني انني في منزلي» فهدأت قليلاً امام مَرَح جيوفري.

«انا لم احضر شيئاً لاستقبالك، لأن هالام لم يخبرني بأنك ستأتي».

والتفتت نحو زوجها على أمل ان يقول شيئاً، لكنه ظل يحدق بالنار ولم يفتح فمه.

فسكبت بيب القهوة بيداً مرتجفة ثم خرجت وهي تحاول ان لا تظهر انفعالتها، ولم يكن جيوفري قد اخبرها اذا كان سيبقى هنا طويلاً، ولكنها تمنت ان تطول اقامته في هذا المنزل، فصعدت الى الطابق الاعلى لتعد له غرفته، فهذا يساعدها بأن لا تفكر كثيراً، ولكنها لم تتوقف عن التساؤل، ماذا يمكنها ان تفعل لكي تحظى باعجاب زوجها، لو انها حقاً تنتظر طفلاً!.

وفجأة لمعت فكرة في رأسها، لماذا لا تدعي المرض،

www.elromancia.com

فهكذا يقلق هالام عليها، ولا يعود يغادر المنزل ولا يعود يخرج مع فانيسا، ولكن لا، هذا لن ينجح، فهو ليس غبياً، كما انه طبيب، وسيكتشف بسرعة هذه الخدعة، ماذا ستفعل اذن؟ وتذكرت ما سمعته منذ قليل «غلطة كبيرة، لو تنتبه لدخول جيف الذي وضع يده على كتفها وابتسم.

«كنت اعلم انني سأجدك هنا، بيب» وكان يتكلم بحماس وفرح، فنظرت اليه نظرة لوم.

«انا آسف، ولكنني احب ان العب دور بابا نويل».

«انك تشبهه حقاً» ولم يعد بإمكانها حبس دموعها، فانتبه جيف ومسح دموعها واخذ يداعب شعرها، ولم تكن بيب معتادة على مثل هذا الحنان.

«ما بك، بيب فنحن ذوي الشعر الأحمر يجب ان نتضامن، انا متأكد ان هالام فخور بزوجة لها مثل شعرك الرائع».

ندمت بيب على هذا التصرف السخيف، فجيف المسكين لا بد انه لديه مشاكله الخاصة، ولا يجب عليها ان تحمله مشالكها ايضاً.

«هالام يحب شعري» قالت له وهي تكذب، ابتسم جيف بحزن وابتعد قليلاً عنها.

«لا اعتقد انني استطيع ان افعل شيئاً لأجلك، بيب الا اذا...».

ثم سكت لأن هالام انضم اليهما وهو عابس كعادته.

«سأتغيب طوال النهار لدي اجتماع مع رؤساء الاقسام

في المستشفى» وكان ينقل نظره بين بيب وجيف، فاحمر وجهها ولكن لماذا تشعر بأنها مذنبة؟ فهي لم تفعل شيئاً! فهالام هو الذي يقضي كل اوقات فراغه مع امرأة أخرى، غيرها ويهملها.

«هل ستتناول الغداء معنا؟» سألته بهدوء مصطنع.

«لا سأتناول غداءً خفيفاً في المستشفى».

كان يريد ان يقول شيئاً آخر، لكنه ادار لهما ظهره فجأة وخرج.

«اهو هكذا دائماً؟» سألها جيف وقد لاحظ بدهشة طريقة اخيه في معاملة بيب.

«احياناً، فهو رجل مشغول دائماً».

«اتدرين ماذا سنفعل؟ سأستحمل بسرعة ثم سأدعوك لتناول الغداء والعشاء».

«لا اعتقد ان هذا سيعجب هالام».

«وهل يهمك رأيه كثيراً؟».

«طبعاً! فقد يغضب، وانا لا اريد هذا بأي ثمن».

«انت تحبينه، اذن؟».

والتقت نظراتهما، فاشارت له برأسها.

«هذا رائع بيب، ما ان يجد اخي السلام في نفسه، سيكون ممتناً لك على هذا الحب، فلا تتوقفي عن حبه».

اشرق وجهها من الفرح، ورغبت في ان تطلب منه شرحاً اضافياً، لكنها غيرت رأيها، فهو يعرف زوجها جيداً، ويجب ان تثق به اكثر.

«انني اتساءل اذا كان لدى اخي اجتماع حقاً؟».

www.elromancia.com

«بالتأكيد، وهو يجتمع بهم لك اسبوع» قالت له وهي متأكدة من هذا الاجتماع، لكن ما يقلقها غيابه الدائم عن المنزل، ومع ذلك لم ترد ان تخبر جيف بذلك، فهالام لا يقدم لها اعذاراً، واليوم اخبرها بهذا الاجتماع فقط لأن اخاه موجوداً، وهي متأكدة ايضاً انه لولا هذا الاجتماع لم تركها وحدها ابداً مع جيف.

ابتسمت بيب، ودخل جيف الى الحمام، وعادت وحدها من جديد، وقررت ان تحضر العشاء بنفسها، وستعد طبق الدجاج الذي يفضله زوجها، وبينما كانت تعد الطعام، رن جرس الهاتف، فأجاب جيوفري، وسمعته يتكلم، وبعد لحظات انضم اليها جيوفري.

«انه هالام، سيتأخر، ولا يجب ان ننتظره».

اخذت بيب تتأمل الطعام الذي تفوح منه رائحة لذيذة.

«لقد اصبح الطعام جاهزاً، ولأول مرة اعده بنفسي، لماذا لم يعد بعد؟».

«انها حياة الطبيب بيب، وهو لم يقل لي اين هو».

«حسناً، سأترك له حصته جانباً، فقد يكون جائعاً عندما يعود» وتمنت ان يكون زوجها لا يزال في العيادة، وان لا يكون في احضان فانيسا.

- ١٤ -

كانا يلعبان الشطرنج عندما عاد زوجها، وكان يبدو عليه التعب الشديد. نهضت بيب وارادت ان ترمي نفسها بين ذراعيه، كما تفعل بقية الزوجات، ولكنها تذكرت انها ليست شيئاً بالنسبة له، ولن تتمكن من ازالة اعبائه ومتاعبه، ولكي تخفي ارتباكها، اخبرته بأنها ستعد له العشاء، لكنه امسك ذراعها واشار اليها ان لا تفعل، وكانت هذه اللمسة كافية لأشعال النار في كيانها.

«افضل ان اشرب كأساً اولاً» قال لها بجفاف ثم دخل مكتبه فأسرعت وملأت له كأساً، وكان هذا المساء يبدو بحاجة لمن يواسيه.

«اتريدين ان احمل له الكأس بنفسي؟» سألها جيف.

«لا... لا شكراً جيف».

www.elromancia.com

«حسناً، انا متعب وسأنام الآن، لأنني لدي مؤتمر غداً تصبحين على خير بيب».

ثم طبع قبلة على جبينها وصعد الى غرفته وهو يغني، تأملته بيب قليلاً وهو يبتعد وتمنت لو اخاه لطيف مثله، كم ستكون حياتها عندئذ جميلة!.

ولكن من تلوم؟ عندما طلبها للزواج، كانت تعلم انه لا يحبها، وهو لم يخفي نواياه، ولم يخدعها.

دخلت الى مكتبه، ورأته يجلس على الكنبه ويسند رأسه الى الخلف ويمد رجليه، فوضعت الكأس امامه، واتجهت نحو الباب.

«الا يزال جيف في الصالون؟» سألها فجأة بصوت متقطع.

انقبض قلبها، انه متعب وحزين، ولا يمكنها ان تفعل شيئاً لأجله! وخطرت فكرة في رأسها، اتتصل بفانيسا وتطلب منها المجيء؟ فهي الوحيدة القادرة على اسعاده وعلى جعله يبتسم، لا انها مجنونة...

«لقد ذهب لينام، وقال لي بأنه يجب ان يرتاح لأن لديه مؤتمر غداً، اتريد ان ارسله لك؟».

فحدق بها جيداً، لكنها ليست نظرات غاضبة، انه هادىء الآن، فتشجعت، واقتربت منه وجلست على الارض بقربه، وامسكت يده وسألته.

«ما بك هالام؟ اتريد ان تفتح قلبك لي؟ ايمكنني مساعدتك؟» قالت له بسرعة، وكانت تخاف ان يطردها قبل اتمام كلامها... لم يحاول هالام ان يسحب يده من

يديها.

«سأشرب كأساً آخر».

«الشرب لا يحل مشاكلك، احكي لي، ما الذي يقلقك؟ ثق بي، اعدك انني سأتصرف كالكبار، اقصد... لن احاول ان اتعلق بعنقك او اي شيء من هذا القبيل».

ابتسم هالام، وداعب شعرها.

«احقاً تعتقدين انني بحاجة لكتف ابكي عليه؟».

لم تجبه بيب، وكانت هذه اللمسة اللطيفة تشعرها كأنها قطة يدللها سيدها.

«انك تبدو كالكلب المهزوم».

ابتسم هالام من صراحتها ومن تعبيرها.

«معك انت» قال لها ضاحكاً «لا داعي للكبرياء، فأنت بإمكانك ان تصفي الناس على حقيقتهم».

وفجأة، عاد الى العبوس.

«لقد فقدت مريضاً اليوم».

«اوه، يا الهي!» واخذت تتأمل وجه زوجها الذي تحبه.

«اتذكرين دايفيد ايفز؟ لقد توفي بعد ظهر اليوم، كان شاباً مليئاً بالحياة، وهو من عمر الورود» وتوقفت يده عن مداعبة شعرها، واخذ يحدق بالحائط، فألقت بيب رأسها على ركبتيه دون ان تفكر، ولم يقل لها هالام شيئاً ولم يقم بأية حركة، وبعد لحظات عاد يداعب شعرها، واحست بالدفء يسري في عروقها، هذه هي الحياة! منزل وزوج، وحب، فتنهدت ورفعت وجهها نحوه وابتسمت.

«كنت اراقبك» قال لها «وتبدين سعيدة».

www.elromancia.com

«انا... انا...» ولم تجرؤ على الاعتراف له بمقدار سعادتها.

«مسكين هو ايفز» قالت له وتمنت ان لا يتكلما ابداً، وان تبق هكذا امام قدميه، تتمتع بهذه اللحظات الصافية، فالشرح لن يؤدي الى شيء، هذا صحيح، ولكن ليته يضمها بين ذراعيه، وتذكرت تلك الليلة في لندن.

«لا يجب ان نفكر به كثيراً» قال لها هالام، فكم من مريض ينجو وكم من مريض يموت؟.

«اعلم، لقد انتهى عمره، وهو عجوز على كل حال» وندمت عندما لاحظت ملامح وجه زوجها، فالمريض الذي مات هو في مثل سن زوجها.

«هذا صحيح» قال لها بسخرية «هذا ليس فظيعاً، فالعجوز يجب ان يموت يوماً، والعجوز الذي هو انا، سيذهب للنوم، ولا يجب على العجوز ان يتصرف بجنون».

وكان غاضباً ويرتجف، وحاول النهوض، لكن بيب منعته واحاطت ساقيه بيديها.

«هالام، لا تكن قاسياً، انت تعلم بأنني لم اقصد... فهو يبدو عجوزاً، اما انت، فأنا لا اراك عجوزاً...» وكانت مستعدة لكل شيء كي تزيل هذا الحزن من وجهه.

«لا» اجابها بمرارة «انا لست عجوزاً، لكنني حسن بالنسبة لفتاة في العشرين من عمرها».

«هالام، اشفق علي، لا تطردني ليس الآن».

كيف يمكنه ان يعتقد انها تحتقره من اجل سنه؟

فتمسكت به جيداً، لكنه بسرعة تخلص منها ودفعها عنه كالمجنون ونهض، فنهضت وتعلقت بعنقه، فأحاطها بذراعيه القويتين، واطبق شفتيه على شفتيها، واخذت يداه تداعب جسدها، فشعرت بسعادة كبيرة، وبادلته القبل الحارة المليئة بالاشواق.

وفجأة رن جرس الهاتف، فتجمدا مكانهما كالتماثيل، ثم ضحك هالام وابتعد عنها وخرج ليجيب على الهاتف، فجلست بيب على الارض وهي تضحك بعصبية والدموع تتلألأ في عيونها.

وطال انتظارها، ولكن هالام لم يعد الى غرفة المكتب، فرتبت شعرها وخرجت الى الصالون، لكنها لم تجده ايضاً، فارتعشت بيأس، لقد فضل الهرب على ممارسة الحب مع زوجته! فصعدت الى غرفتها وقلبها حزين، لم يعد هناك اي أمل، لقد تبددت كل احلامها.

مر اسبوعان، وادركت بيب انه لا يرى فيها غير سكرتيرته ومساعدته وكانت تعمل بشكل آلي، وكانت قد اجرت مقابلة مع مديرة معهد التمريض التي قبلت طلبها عندما عرفت انها زوجة جراح، وسألتها كيف ستوفق بين دراستها وبين حياتها الزوجية، فكذبت بيب واخبرتها ان زوجها لا يمانع في ان لا تعود الى المنزل يومياً، ولكنها لم تعترف بأنها لا ترغب في العودة الى المنزل حتى في ايام الاجازات، وقررت ان تستأجر غرفة قرب المعهد.

وقررت ان لا تعود الى المنزل في الاجازات، المنزل انه حلم، وتنهدت ستنسى المنزل وستنسى زوجها، والآن

www.elromancia.com

يجب ان تزف الخبر هالام، فالدورس ستبدأ قريباً، وارادت ان يعلم هالام منها شخصياً، قبل ان ترسل لها مديرة المدرسة اعلاناً صغيراً.

ولكن كيف ستخبره؟ خاصة وانه سيذهب لقضاء ثلاثة ايام في لندن ليحضر سلسلة مؤتمرات طبية، آه لو ان جيف هنا! لا فهذا لن يغير شيئاً، جيف لا يمكنه مساعدتها، وهي لا تريد مساعدة احد، لقد اخذت قرارها وحدها، ووحدها يجب ان تواجه زوجها، كما وان جيف مشغول جداً هذه الايام بالخروج مع خطيبته التي تبادلها الحب الكبير.

ولشدة انهماكها في عملها وفي افكارها، لم تنتبه لدخول هالام، وعندما وضع يده على كتفها، انتفضت.

«ما رأيك بحالة الآنسة روبرتسون، بيب؟».

«لم الاحظ شيئاً مميزاً، بالطبع هي شاحبة، ولكن...».

«هذا ليس فقر في الدم، فالتحاليل لم تثبت هذا.. على كل حال، ما هي عوارض فقر الدم؟».

تنهدت بيب، فهالام استاذ عظيم، وهو لا يفوت اية فرصة. لتنمية معلوماتها، ويشرح لها بالتفصيل عوارض كل حالة.

«بصورة عامة، شحوب، ولكن الشحوب لا يفي بالضرورة...».

ثم ترددت قليلاً، اليس الوقت مناسب الآن لكي تخبره برحيلها؟ ولكن لا تملك الشجاعة.

«الشفاه واطراف الاصابع تكون شاحبة ايضاً...» هيا بيب كلميه الآن...

«الاظافر...».

فنظر اليها هالام بدهشة.

«الاظافر... هالام، سأعود لمتابعة دورسي!» قالت له اخيراً.

«كنت اتساءل متى ستملكين الشجاعة لقول ذلك لي».

«وهل كنت تعلم؟».

«ان المديرة هي احدى زميلاتي القدامى» اجابها مبتسماً.

«اذن، هي اخبرتك» قالت له بمرارة «لكنها لم تخبرني عن علاقتكما».

«وما اهمية ذلك؟ فهذا يساعدك على كل حال».

«انا لا اريد ان يساعدوني! فاذا لم اكن جديرة فانهم سيطردونني، وانا لا اريدهم ان يمدحوني فقط لأن المديرة كانت صديقتك العزيزة».

فنظر اليها هالام بجفاف، واصبح صوته ساخراً.

«صديقتي العزيزة؟ اهذا ما ترينه؟ فلنقل انها كانت ولا تزال افضل زميلاتي».

«اتمنى ان لا تكون غاضباً مني».

«واذا كنت غاضباً؟ ايغير هذا قرارك؟ ماذا يهمك اذا بقيت بدون سكرتيرة، وبدون ممرضة؟ واذا كنت بحاجة ايضاً لأمرأة جديدة».

هذه الملاحظة اصابت قلب بيب في الصميم، طبعاً،

www.elromancia.com

فانيسا تنتظر مثل هذه الفرصة، لكي تحمل مكان بيب، فانيسا في المكان الأول، وبيب هي الصورة المزيفة، وكانت تتمنى من كل قلبها ان تتمكن فانيسا من اسعاد هالام، وارادت ان تخبره بذلك، لكن اليزون دخلت بهذا الوقت، وكانت تبدو سعيدة جداً وعيونها تشع بالفرح.

«عمي هالام! بيب! انا سعيدة لأنني وجدتكما هنا، سأتغيب انا واندرا طوال النهار، ولكني اردت ان تكون اول من يعلم بالخبر، نحن ننتظر طفلاً!».

«اليزون، هذا رائع!» وكانت هذه المرة الأولى التي تلاحظ فيها بيب حماس هالام وقد عانق ابنة اخيه وانهال عليها بالقبل، طفل! فقط لو ان بيب تصبح اماً!.

«انا سعيدة جداً لك، اليزون» قالت لها بيب بخجل واسرعت نحوها وقبلتها بمحبة.

واخذ هالام يثرثر مع ابنة اخيه ويفكران مع بمشاريع عدة.

واخذت بيب تفكر في حياكة ملابس للصغير بلون اصفر باهت، فهذا اللون يناسب الصغير اذا كان صبياً ان بنتاً، ثم تنهدت والتقت نظراتها فجأة بنظرات هالام، فاحمر وجهها.

«هل كنت تكلمني؟» سألته بجفاف، فضحكت اليزون.

«نحن لم نتوقف عن الثرثرة، بينما انت كنت في القمر، حسناً اندراو ينتظرني، يجب ان اذهب الى اللقاء!» ثم خرجت فابتسمت بيب، وقالت لهالام.

«يجب علي اذن ان ابدأ بحياكة الصوف، واعتقد ان

اللون الاصفر الباهت سيكون جميلاً، ايمكنك ان تقلني معك الى المدينة؟».

«بالطبع» اجابها بهدوء «متى ستبدئين؟».

«ابدأ؟» وكانت قد نسيت تماماً دراستها.

«دراستك، متى ستبدئين؟».

«اوه، نعم الاسبوع القادم».

«يا الهي، لن اكون هنا عندما ستلد اليزون طفلها» فهي تحبها كثيراً ولكن هذه العائلة ليست عائلتها، كم تتمنى ان يكون لها طفل!.

«بيب».

«نعم؟».

«انا... لا، لا هذا ليس مهماً» وكأنه كان يريد أن يقول لها شيئاً مهماً، لكنه غير رأيه وخرج بسرعة، واهتز المنزل كله عندما صفق الباب وراءه.

ماذا يمكنها ان تفعل؟ فهزت كتفيها، انها مهما فعلت تنقلب الاشياء ضدها، وانقبض قلبها، وصرخت هالام، انا احبك، وعادت الى طبع ملاحظاتها، وقررت ان تعمل باستمرار لكي تتمكن من نسيان حبها المستحيل.

«ايتها الممرضة فيلدينغ!».

التفتت بيب نحو الآنسة فلاناغان.

«نعم؟».

«هل انتهيت؟ اريدك ان تذهبي لمساعدة الممرضة المازان هيا، اسرعي!» ثم خرجت الآنسة فلاناغان، وعضت بيب على شفتها، لماذا تعاملها بهذه الطريقة؟ فهي

www.elromancia.com

ليست بطيئة في عملها، ومهما فعلت تنتقده فلاناغان، وهي تذكرها بزوجها هالام الذي لم يكن راضياً ابداً عنها.

واخيراً تحقق حلمها، فهي تتدرب في مستشفى صغير في ميد لاندز، ولكن هذه ليست سوى البداية، لقد كان هالام قد ساعدها كثيراً، وخاصة في المرحلة التي سبقت رحيلها، وكان يحضرها لدخول هذا العالم الذي تركته باكراً، وقدم اليها النصائح الثمنية، وشرح لها هذه المهنة التي تحبها كثيراً، وجعلها تستفيد في خبرته الطويلة.

ولهذا السبب فضلت بيب قسم الجراحة، والآنسة فلاناغان استاذة ممتازة، لكنها لا تحب بيب، فهي بدون شك تعلم من يكون هالام ، وتعتبر ان بيب ليست بحاجة للمساعدة.

اسرعت بيب وانضمت الى الممرضة المازان، الممرضة في السنة الثالثة.

«الا يجب ان نأخذ حرارة المرضى؟ لقد طلبت مني فلاناغان ان اسرع».

«حسناً، ولكن قبل ذلك، اريد ان اقول لك شيئاً، لقد سألوا عنك عدة مرات على الهاتف، وسمعت الآنسة فلاناغان تقول بأنها لا يمكنها ان تناديك اثناء الخدمة».

«هالام! هذا ممكن، يا الهي».

«هل هو. . . اقصد الم تقل من كان يتصل بي؟».

«لا، لقد سمعتها تصرخ في وجه مسؤول القسم، ان هذه المستشفى قد تغيرت كثيراً، ولم تعد كما كانت، مع كل هذه الاتصالات الهاتفية الخاصة».

«لا، هذا لا يمكن ان هالام» والا لما تجرأت فلاناغان على اغلاق الخط بوجهه، وزوجها لم يتصل سوى مرة واحدة منذ وصولها خلال هذين الشهرين، ولكنهم اخبروها فوراً عندما اتصل، وكان صوته دافئاً، ومليئاً بالحنان، وكان قد سألها عن صحتها وعن راحتها وعن دروسها، وكادت بيب تبكي ورغبت بأن تعترف له كم تفتقده، وان تتوسل اليه ان يأتي لزيارتها، واخيراً وجدت الشجاعة الكافية واكدت له ان كل شيء يسير على ما يرام، ولكنها قضت كل الليلة في البكاء، وكانت منذ رحيلها عن المنزل تبكي كل ليلة، وتتساءل لماذا اصبحت بيب الشجاعة تغرق هكذا في دموعها ليلياً، ان الضعف ليس من صفاتها، بل من صفات ميلاني.

- ١٥ -

ميلاني! لقد اشتاقت اليها والى سيمون ايضاً، قد تكون هي التي تتصل بها ولكن لا، لقد كتبت لها رسالة وطمأنتها عنها، واخبرتها فيها انها بانتظار مولودها الثاني.

انهت بيب عملها وهي تتنقل من سرير الى آخر، تأخذ حرارة المرضى وتجس نبضهم، وتتبادل معهم بعض الكلمات، وهي تفكر بطفل، طفل هالام، وتمنت ان يجعل منها زوجة حقيقية له، وان تحمل احشائها طفله، اليزون اولاً ثم ميلاني، ولماذا هي لا؟.

ووقفت اخيراً امام سرير السيدة ايفز العجوزة وكانت هي افضل مريضة عندها، وامام نظراتها القلقة طمأنتها بيب وشجعتها.

وفي الخارج، كان الطقس ممطراً وبارداً والهواء يصفر

والسماء ملبدة بالغيوم، ماذا تقول لها؟».

«لقد سمعت زقزقة العصافير، هذا الصباح» قالت لها صديقتها المريضة «ورغم الطقس الردي، ينشدون، وبعد شهر، سيرحلون نحو الجنوب، ولن اسمعهم».

«ولكنهم سيعودون! في الربيع القادم سيكونون هنا، وستسمعين زقزقتهم، وعلى كل حال سيكون الطقس افضل غداً».

وبدا هذا النهار طويلاً، ولم تجرؤ بيب على سؤال الآنسة فلاناغان، ومع مرور الساعات اقتنعت بيب ان ميلاني هي التي كانت تتصل، ولسوء الحظ، لم يكن لدى ميلاني هاتف، كما وانها لا يمكنها الذهاب اليها، فقررت ان تكتب لها رسالة هذا المساء، ولن ينفعها القلق والتوتر.

وكانت بيب تعيش حياة اجتماعية مميزة في اوقات فراغها، وكانت هذه المستشفى تنظم نشاطات اجتماعية عديدة، واختارت بيب المسرح وكان فريق التمثيل يقدم مشاهداً مسرحية للمرضى. وفي صباح اليوم التالي، كان هناك تمرين على مسرحية فكاهية اختارتها ادارة المستشفى، وتلعب فيها بيب دور الامرأة التي في الظل وكان المخرج قد طلب من مصمم الملابس ان يعد لها ثوبا يتناسب مع لون شعرها الاحمر وقامت بيب بالتمارين بحماس كبير.

وكان هذا العمل يمنعها من التفكير ومن الذكريات. أوغوس سانكلار كان ينتظرها في مدخل المستشفى، وهو

www.elromancia.com

طالب في السنة الثالثة واكبر سناً من بقية الطلاب يقرب من الثلاثين سنة. ومنذ صغره كان يخطط لبناء مستقبله العملي وكان قد عمل مع عمه في افريقيا عدة سنوات وعاد الى انكلترا ليتابع علومه، وكان افضل صديق لبيب في المستشفى، وكان متفوقاً على الجميع ولا يهتم بالفتيات اللواتي يحمن حوله، وكان يفضل عليهن صداقة بيب التي كانت متزوجة ولا سبيل لاية علاقة بينهما.

وكانت بيب قد حاولت عدة مرات ان تلعب دور الوسيط بينه وبين بعض الفتيات، لكن اوغوس طبيب خيب كل محاولاتها، وشرح لها ذات يوم انه ليس مستعجلا لإيجاد الزوجة المناسبة.

واتجها معاً الى قسم توزيع البريد الخاص بالمستشفى.

«لدي خبر لك» قال موظف البريد.

تناولت بيب الرسالة، واخيراً ستعلم من الذي كان يتصل بها، هالام ام ميلاني؟ وقد تكون العمة نورا التي كانت تكتب لها من وقت لآخر.

«اتصلت اختك هاتفياً، وعليك ان تتصلي بها فورا، وقد تركت لك رقم هاتفها حيث يمكنك الاتصال بها في اي وقت».

عندما رآها اوغوس تعود حاملة ورقة في يدها، بدأ بالضحك.

«هل هذه تذكرة لشخصين؟».

«لا تكن سخيفاً اوغوس، انها اختي، لا بد ان لديها مشاكل، وهذا من اختصاصها، اخبر الآخرين انني سأتأخر

قليلاً».

«لم يأت احد بعد، سأرافقك وانا متأكد انه لدى عودتنا سيكون نصف الفريق لا يزال غير موجود».

تساءلت بيب عمن يكون صاحب رقم الهاتف، واجتاحها قلق كبير، ماذا هنالك هذه المرة ايضاً؟ وخافت ان يكون حصل مكروه لسيمون.

انه رقم هاتف مكتب بريد البلدة، وطلب منها موظف البريد ان تنتظر قليلاً لكي يبحث عن ميلاني، واخيراً بدأت ميلاني بالكلام والدموع تقطع صوتها.

«اوه، بيب! لست ادري كيف ابدأ».

«سيمون؟ تكلمي ما به؟».

«ولكن لا» صرخت اختها في السماعة «سيمون بخير، المسألة متعلقة بي، لماذا لا تفكرين بي انا اختك اني بحاجة اليك».

«هل انت مريضة» سألتها بيب وقالت في نفسها حتى لم تكن اختي بحاجة لي؟.

«لا، لقد قررت ان اهجر بيتر، لم يعد بإمكاني ان اتحمله يوماً اضافياً، ولا سبيل للمناقشة، لقد اخذت قراري ولم يعد بإمكاني التراجع عنه».

كانت ميلاني تتكلم بشكل مأساوي وكانت هذه طريقتها في الكلام عندما تكون قد ارتكبت حماقة ما.

«ولكنني لا اناقشك فهذه حياتك انت وانت حرة في اتخاذ القرار الذي يناسبك».

«انت لي لا يمكنك ان تتركيني اتعذب وحدي، بيب».

www.elromancia.com

تغيرت لهجة ميلاني، انها تعلب الآن دور الفتاة التي تخلى عنها الجميع، وتمنت بيب لو انها تقف امامها لكي تصفعها.

«ولكنني انا في ميدلاندز، وانت في سوري، ماذا يمكنني ان افعل من اجلك؟».

«حسناً...».

وكانت صوت ميلاني مليئاً باليأس وهذا وجه من وجوه انانيتها، ومع ان بيب تعلم ذلك، الا انها احست بانقباض في قلبها، ولو كان هذا صحيحاً هذه المرة؟.

«هذا ليس مأساوياً لهذه الدرجة، ميلاني، ولكن ماذا فعل بيتر هذه المرة؟».

«عاد ليشرب الكحول عن جديد، ولا يزال يكرر انه لا يريد اطفالاً آخرين، انه يكرهني!».

كانت بيب تعلم ان اختها تبالغ، وانها اذا استطاعت الوصول اليها لتمكنت من مصالحتهما.

«اسمعي، لماذا لا تعهدي بسيمون الى احدى جاراتك لبضعة ايام وتحاولين مناقشة كل هذا بهدوء مع زوجك؟».

«بيتر وانا ليس لدينا اي شيء لنناقشه».

«في هذه الحالة ماذا تنتظرين مني انا، فأنا لا استطيع ان اناقشه في موضوع اجهله».

«لكن بلى، انت تستطيعين، تكلمي مع بيتر، وقولي له بأنه يجعلني مريضة وانه لا يجب عليه ان يعاملني هكذا، ارجوك يا بيب».

تساءلت بيب ماذا ستقول لصهرها.

«الا يكفيه انه يجعل حياتي مستحيلة، حتى انه يجعل سيمون مريضاً ايضاً، المسكين لا ينام لأنه يرى ان والدته لا تنام ايضاً، فالاطفال لديها حاسة سادسة تنبؤهم بهذه الاشياء، لو ترين كم اصبح نحيفاً».

بالتأكيد كانت تكذب، وهذه احدى وسائلها لكي تضطر بيب ان تتدخل، كما فعلت المرة الاولى عندما غيرت عملها وعاشت في المنفى مع هالام، ولكن ماذا تفعل؟ فهي اختها، اختها الوحيدة.

وكان لديها اجازة ليومين تبدأ غداً، واذا قضت نصف النهار في السفر سيمكنها الوصول وقضاء بضعة ساعات مع ميلاني، وقد تتمكن من اصلاح الامور بينها وبين بيتر.

يومين! ولكن اين ستقيم؟ فبيب ليست غنية ثم فكرت بهالام لا، لا مجال لذلك، فهي لا ترغب برؤيته ولا بطلب استضافتها عنده، لا يمكنها ان تعترف له بحاجتها اليه، هذا ما لا تريده بأي ثمن، ليس الآن وقد حصلت على استقلاليتها، انها لا تزال تحبه ولكن لا مجال للعودة الى نفس التمثلية، لأنها ستعود بذلك الى قضاء الليالي بالبكاء.

تنهدت بيب وغضبت من هذا الموقف المحرج الذي وضعتها فيه ميلاني، وقررت الذهاب اليها، وهناك ستتصرف وكان اوغوس قد استمع الى هذه المكالمة فأخبرته بيب بحقيقة الموقف، وكانت دهشتها كبيرة عندما عرض عليها ان يرافقها بسيارته.

«ولكن هذا مستحيل! فأنا متأكدة انه ليس لديك ما

يضطرك لذلك».

«وانا ايضاً لدي اجازة غداً لمدة يوم، واحد فقط وبالسيارة يمكننا ان نذهب ونعود في نفس النهار، كما وانني لا اعرف سوري، وهذه فرصة لكي اعرف اذا كانت كثيرة الرطوبة كما يقال عنها».

«هل انت متأكد؟ فأنا لست ادري اذا كان بإمكاننا ان نجد مكاناً نبات فيه».

عضت بيب على شفتيها، فنظر اليها اوغوس نظرة استفهام.

فهو لم يفهم مع انه يعرف ان بيب متزوجة. وسعيدة في حياتها، فلماذا لا تذهب الى منزل زوجها، الا يقيم ايضا في سوري؟ وفضل اوغوس ان يغير الموضوع.

وفي الصباح اليوم التالي رحلا مع الفجر وكان الطقس جيداً فوصلا عند الظهر، ولم يجدا احداً في منزل ميلاني! وسألت بيب جارتها التي اخبرتها بأنها تركت البلدة في مساء البارحة مع ابنها سيمون.

لم تصدق بيب اذنيها، ما معنى كل هذا؟ تساءلت السيد عن وجهة ميلاني.

«لا، ولكنها المحت الى شخص يسمى هالام على ما اعتقد.

«هالام!».

«نعم، اعتقد ان هذا اسمه ولقد اخبرتني انه سيساعدها، اوليس هو نفسه الدكتور فيلدينغ؟» فأشارت بيب برأسها.

«اولي هو زوجك؟» سألتها السيدة وهي تنظر الى اوغوس الذي كان شاهداً على هذا الحوار.

«نعم، انه هو» اعترفت بيب «واعتقد انه اقترح عليها قضاء عدة ايام عنده، سأتصل به لأتحقق من ذلك».

«شكراً لك سيدة دوران، لقد قدمت لي خدمة كبيرة».

لكن السيدة دوران لم تكن تنوي تركهما يرحلان هكذا بكل بساطة ولشدة فضولها ارادت معرفة المزيد.

«اتمنى ان تتفهمي الوضع بوضوح، فهذا زوجك! وتركه وحيداً مع ميلاني... ماذا سيظن الناس؟».

احمر وجه بيب، لماذا يحشر الناس انفسهم في امور الآخرين.

«لا تقلقي من اجله، انه ينتظرني اليوم، لقد جئت الى هنا فقط لكي ار ما يمكنني ان افعله من اجل ميلاني».

ولم تكن بيب تريدان يعلم احد بأنها لا تسكن مع زوجها! وهكذا تكون بيب مضطرة لرؤية هالام، ماذا ستفعل؟ من الصعب تصور كيف سيكون لقاءهما، وقررت ان تسوي امور اختها وتعود فوراً الى المستشفى، رؤيته! ولو لمجرد لحظات تكون كزر الملح على الجرح هالام! يا الهي كم احبك...

«انا آسفة» قالت بيب لأوغوس «انا لا اريدك ان تقطع كل هذه الكيلومترات».

فأخذ الشاب يضحك.

«لا تقلقي، فأنا احب القيادة واحب هذه المناظر، ومشاكلك تجعلني افكر بمشاكل اختي التي كانت في مثل

سنك».

انقبض قلب بيب، وكان اوغوس قد اخبرها ان اخته التي كان يحبها كثيراً ماتت منذ عدة اعوام.

ثم هزت بيب رأسها، ودلت على عنوان منزلها تقصد منزل هالام.

وكان المنزل هادئاً، يجب ان يكون هالام في المستشفى بهذا الوقت.

«توجد سيارة رائعة هنا».

«اوه نعم، انها سيارة زوجي الرولس رايز» ولكن السيارة السبور لم تكن امام المنزل، اذن هالام ليس موجوداً، واحست بيب بالاسف لأنها لن تراه.

نزل سيمون درجات السلم بسرعة كبيرة ورمى نفسه بين ذراعيها، وشرح لها بلغته الغير واضحة ان والدته في الداخل. فحملته ودخلت الى البيت، وفضل اوغوس ان ينتظرها في السيارة.

وما ان دخلت بيب حتى رأت ذراع هالام حول كتفي ميلاني، ورأته يطبع قبلة على خدها.

احست بيب بالغيرة القاتلة، ورغما عنها رسمت ابتسامة على وجهها، وتقدمت نحوهما، فالتفتا نحوها وبدت الدهشة عليهما، وهكذا اذن، حلت ميلاني مكان فانيسا في قلبه.

«بيب!» قالت ميلاني بدهشة واسرعت نحوها.

قد تكون مخطئة، فلا يمكن لأختها ان تكون على علاقة مع هالام، والا لما كانت استقبلتها بمثل هذا الفرح

والحماس، وضمت ميلاني بيب الى صدرها وقبلتها بحرارة

«اعتقد ان مشاكل ميلاني انتهت اخيراً» قال هالام بصوته الهادىء.

ماذا يعني بكلامه هذا؟ لم يعد بإمكان بيب ان تفكر بوضوح. والتفتت نحو اختها وسألتها.

«هل انتهى كل شيء؟».

«الا ترين انني سعيدة».

لم يعد بإمكان بيب ان تتمالك نفسها اكثر، ما هذه السخافة؟ ولماذا هذا الاتصال المفاجىء الطارىء؟.

«حسناً، اذن لم يعد امامي سوى العودة، هل انت متأكدة ان كل شيء يسير على ما يرام؟».

«نعم، نعم! هالام ملاك حقيقي، وبفضله سأبدأ حياة جديدة»، بلعت بيب ريقها بصعوبة، والتفتت نحو هالام، والتقت نظراتهما لأول مرة منذ وصولها.

«هذا عظيم، اتمنى لك السعادة».

ولحسن الحظ، كان اوغوس لا يزال هنا، بإمكانها الرحيل فوراً، وقبل ان تقوم بأية حركة، قبلتها ميلاني وحملت طفلها وخرجت ولكن لماذا خرجت؟.

«حسناً، بيب لماذا كل هذا الغضب؟ اتمنى ان لا اكون انا السبب».

ما هذا الخداع، والغريب في الامر انه يبتسم!.

«انا...» ثم سكتت فاذا كان يريد ميلاني بإمكانه الاحتفاظ بها، وقبل ان يبدأ بيتر المسكين الشكوى، وقبل ان يأتي اليوم الذي يشعر فيه بالفراغ الكبير الذي تركته

زوجته التي يحبها.

وتقدمت خطوة نحو الباب، ونظرت اليه باحتقار، لكنه لم يغضب بل اخذ بالضحك.

«هيا بيب، لا ضرورة لهذه النظرات، لقد سويت كل الامور بين ميلاني وبيتر، ان رؤيتها حزينة، ذكرتني بأنه لدي انا ايضاً زوجة احبها كثيراً، وانا افتقدها بشكل لا يوصف».

«انت! انت تحبني؟».

«بالطبع، يا صغيرتي الغبية».

وتقدم كل واحد منهما خطوة نحو الآخر، وتلألأت عيونها بالدموع، وفجأة سمعا صوتاً جعلهما يتجمدا مكانهما.

«انا آسف لأنني ازعجتكما، ولكن يجب علي ان ارحل الآن» قال اوغوس وهو يقف امام الباب.

التفتت بيب نحو زوجها، ولاحظت نظراته المليئة بالغضب.

«هالام، هذا صديقي اوغوس الذي...»

«حسناً، سأخبر الطباخة لكي تعد الغداء» ثم خرج من الصالون.

«ولكن...» وانهمرت الدموع على وجهها.

«اعتقد انه يجب علي ان اذهب الآن، قال لها اوغوس «صدقيني بيب، انك انت من لديها مشاكل وليس اختك».

لم تحبه بيب، يا الهي حصل كل هذا بنفس الوقت الذي كان فيه هالام يعترف بحبه لها، ودون ان تتكلم

رافقت اوغوس نحو الباب، فشد على يدها.

«تشجعي، بيب! لم تفقدي كل شيء حتى الآن، يبدو ان زوجك انسان عظيم، انضمي اليه، وستتحسن الامور بينكما».

عادت بيب الى الصالون فوجدت هالام يجلس على الكنبة وينتظرها.

وبعد لحظات بدت لها طويلة جداً، تكلم هالام اخيراً.

«بيب، لدي اقتراح اقدمه لك».

«نعم؟» واخذ قلبها يدق بسرعة.

«لقد فقد المنزل بهجته في غيابك، واريد ان اقدم لك عرضاً يدوم طويلاً، لمدى الحياة... لا، بيب لا تجيبي الآن، لا يزال هناك شروط يجب ان توافقي عليها، واهمها ان تسمحي لي بمشاركتك غرفتك، ومن يدري؟ قد يكون ان الأوان لكي تحيكي ملابساً صوفية صغيرة باللون الاصفر الشاحب، ما رأيك؟».

وكان ينظر اليها والابتسامة مشرقة على وجهه، انه هالام، هالام الذي تحبه وتحلم به دائماً.

www.elromancia.com